ڈاکٹر اُمت روتھ

834

أضواء على حبيبته

دكتور احمد معوض

أضواء على حبيبة

الدار العربية
لنشر الثقافة العالمية

الطبعة الثالثة

القاهرة ـ ديسمبر ١٩٨٢

هذا الكاتب

* الاستاذ الدكتور أحمد معوض عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر وخبير الاعلام والعلاقات العامة .

* استهل حياته العملية والعالم يشهد ضياع الأرض المقدسة من أيدى العرب ، فقام بجولات واسعة فى أوروبا وآسيا وأفريقيا للتعريف بالعالم العربى والاسلامى وقضاياه .

* أكمل دراساته العليا فى فرنسا والنمسا والمانيا ومصر حيث حصل على دكتوراه الفلسفة ودكتوراه الآداب .

* نشرت له الصحافة العربية والأجنبية مجموعة ضخمة من كتاباته وجولاته ، وأخرجت له المطابع كثيرا من الكتب والدراسات والأعمال التى وضعها باللغات العربية والألمانية والانجليزية والفرنسية والفارسية .

* جعل كل كتاباته فى الفترة التى قضاها فى أوروبا مقتصرة على شرح حقيقة الأوضاع فى العالم العربى وبلدان الشرق ، والدفاع عن قضايانا الحقة ، ونقل صورة صادقة منها للعالم غير الناطق بالضاد . . وواصل هذه الرسالة بعد عودته الى الوطن .

* ارتأى أن العالم العربى فى نهضته الجديدة صار فى أمس الحاجة الى الاطلاع على روائع الفكر العالمى وسبل النهضة الحديثة فى الدول المتقدمة ، فعمل على أن ينقل صورا منها الى العالم العربى .

* تخرج عليه الآلاف من الطلبة فى جامعات الأزهر وعين شمس وطنطا والمنصورة ، وشارك فى الاشراف على أعمال الباحثين العلمية ومناقشتها .

من

كتب الدكتور أحمد معوض

عن المشاكل العالمية

باللغة العربية :

لعبة بالنار دراسة لمشكلة برلين ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦١ .

صراع حول ألمانيا ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٠ .

مشاكل العالم العربى (كتاب مسابقة جامعة الدول العربية) ، ١٩٥٣ .

صرخة الى السماء (عن القضية الفلسطينية) الطبعة الثالثة ، ١٩٥٥ .

لن نكون لاجئين ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٩ .

باللغة الالمانية :

Krieg oder Frieden im heiligen Land

حرب أم سلام فى الأرض المقدسة ، ١٩٥٦ .

Frieden im Orient

السلام فى الشرق ، ١٩٥٦ .

Sicher ist unsere Heimkehr

عائدون ، ١٩٥٦ .

باللغة الانجليزية :

Duel in the Holy Land

صراع فى الأرض المقدسة ، ١٩٦٠ .

عن الشرق المعاصر

لبنان ، ١٩٥١ .

ايران المعاصرة ، ١٩٧٥ .

باكستان المعاصرة – دراسة للأوضاع الاجتماعية الاقتصادية في جمهورية باكستان الاسلامية ، ١٩٧٦ .

فى الفلسفة والتصوف

شوبنهاور ، الطبعة الثالثة ، مايو ١٩٦٥ .

شاعر الصوفية فريد الدين العطار وقصتاه شيخ صنعان ورابعه وبكتاش ، ١٩٧٦ .

العلامة محمد إقبال – حياته وآثاره ، ١٩٨٠ .

فى اللغة والأدب

بهاء الدين محمد البغدادى ، حياته وآثاره الأدبية ، ١٩٦٧ .

ظهير الدين الفاريابى – حياته وآثاره الأدبية ، ١٩٧٠ .

بحر بلا شاطىء (الطبعة الأولى) ، ١٩٧٣ .

تاريخ تطور النثر الفارسى (سبك شناسى) ج ٢ ، ١٩٨ .

أضواء على الفارسية المعاصرة ، ١٩٨١ .

قبل .. ملاحظ المزلقان (فى ثلاث لغات : العربية ، فارسية والأصل الألمانى) ، (الطبعة الثالثة) ١٩٨٢ .

ألوان من الشعر الفارسى ، ١٩٨٣ .

فى الحضارة والنظم الاسلامية

دادرسى در عهد سلجوقيان وخوارز مشاهيان (القضاء فى عهد السلاجقة وملوك خوارزم) ، ١٩٧٦ .

المشرق الاسلامى فى عصر السلاجقة العظام ، ١٩٨٣ .

هذه الطبعة الجديدة

انقضت فى هذا العام مائة وخمسون سنة على وفاة الأديب والمفكر العالمى المرموق ٠٠ يوهان فولفجانج جيته ٠ ففى الثانى والعشرين من شهر مارس لسنة ١٨٣٢ م ، وقبيل الظهيرة ، ودع الدنيا شاعر الالمانية الأكبر عن ثمان وسبعين سنة ٠

وفى أوائل الستينيات ألقينا بعض الأضواء على حياة « جيته » وآثاره ، وقوبل الكتاب من القراء خير استقبال ، ونفدت الطبعة الأولى منه على الفور ، وتلتها الطبعة الثانية فى نفس العام ، ولم يكن نصيبها من الانتشار بأقل مما كان للطبعة الاولى ــ على الرغم من ضخامة الكمية المطبوعة ٠ واليوم نقدم هذه الطبعة ، لأبناء الجيل الجديد من الراغبين فى التعرف على هذا الأديب العالمى الفذ ، آملين أن يجدوا فيها ما يسكن تهمهم الى المعرفة ٠

القاهرة ــ الزمالك فى ديسمبر ١٩٨٢

أ ٠ م

To: www.al-mostafa.com

هذا الكتاب

في هذه الصفحات التالية ، ننقل لقراء العربية قصة رجل انتهت حياته الجسدية قبل قرن وربع . . بل يزيد ، ولكن أعماله أضفت عليه الخلود ، وكفلت لاسمه البقاء الى الابد !

لقد ولد جيته في ظهر اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٧٤٩ ، وتوفي قبيل انتصاف نهار اليوم الثاني والعشرين من مارس ١٨٣٢ . وبذلك عاش في هذه الدنيا اثنين وثمانين سنة ، وثمانية اشهر ، وخمسة وعشرين يوما الا بضع دقائق !

ولا يعجبن امرىء اذا ما كنا نحسب عمره بالدقائق ، فهذا القياس لا ننظر به الا للعظماء وحدهم ! فعلى الرغم من أن ملايين الملايين من البشر يجيئون ويذهبون ، الا أن القليل النادر منهم فحسب هو الذي يثير منا الاهتمام ، وهو الذي يجبرنا على أن نلتفت اليه ونتفاءل الى صميم حياته الناصعة ونجوس فيما قام به من أعمال ، وما وقع في حياته من احداث .

ذلكم الرجل المرموق هو الذي بأيدينا نعمل من الاعمال غير العادية ، كان يكون زعيما من الزعماء الكبار ، أو بطلا من الابطال الافذاذ ، أو قائدا سار ببلاده الى أوج الفخار ، أو كاتبا من كبار الكتاب أو شاعرا من اعلام الشعراء ، أو فحلا من عظام العلماء . . الى غير هؤلاء من قادة الفكر والشعوب !

وفي هذه الصفحات نلقي بعض الاضواء على احد هؤلاء المرموقين : على حياته واهم أعماله ، راجين أن نوفق في وقت قريب الى أن نعرض بشيء من التفصيل أعمال هذا الرجل العظيم مع تحليل ونقد لكل منها .

فالى ان نلتقي مع أعمال جيته ، والله ولي التوفيق .

القاهرة في ديسمبر ١٩٦١

الحقبة الأولى

١٧٤٩ - ١٧٧٥

نحو وجود افضل

مهما اشتد القسر والظلم ، وراح القوى يذل المستضعف فان للفجر ساعة يبزغ معها النهار وينتشر النور ويعم الضياء!

لقد عاش الشعب الالماني بئس طويلا من الظلم الذى طال مداه ، والشدة التى تزايد ثقلها ، والضغط الذى يرزح تحته منذ الحرب الواسعة .. حتى اذا ما اقبل القرن الثامن عشر ، هب الشعب المضغوط ونفض عنه كل آثار الذل والقسر والايام السود التى مر بها ، وراح يكافح ويناضل حتى استطاع ان يكون لذاته وجودا .. وجودا افضل .

فمنذ كانت الحرب الكبرى الواسعة ، تقلصت الشخصية الالمانية الدولية ، وتدهور الكيان الالمانى السياسى ، وبدت الاهمية السياسية هزيلة شاحبة . كأنها تطل من وراء السحب حتى لتكاد تختفى وتتوارى تماما . وانعكست هذه الصور السياسية على نفوس ابناء البلاد ، فانعدمت الثقة فيما بينهم وتغلغل الانشقاق وانعدم النظام ، وسادت الفوضى ؛ ولم يعد الاحساس بالسيادة الا من قبيل الذكريات !!

صحيح انك كنت ترى حدودا مرسومة فى الخرط الجغرافية تشير الى المانيا ، ولكن الحقيقة سرعان ما تتضح فى الانقسامات القبلية ، وعوامل الانطواء والتفكك فى البلاد ، حتى خيل للبسينج Lessing ذاته أن الالمان ليسوا بامة !!

وكان لابد من العمل على تعليم الالمـــان وتلقيـهم اسس الوحدة القوميه واليسير بهم فى طريق الوحدة . وقام الادب بالدور الاول فى هذا الاعداد القومى ، وراح رجال الطليعـــة من الادباء يعملون ويعملون ، حتى برز فى البلاد ثلة من رجال السياسة الواعين ، فكانت الوحدة القومية الالمانية .

وما من شخص يذكر الوحدة الالمانية ، الا ويذكـر ذلك الرجل الذى يرجع اليه الفضل الاول فى توحيد المانيا توحيدا روحيا .. ذلكم هو الشاعر ، بل اكبر شعراء المانيا بحق .. يوحان فولفجانج جيته Johann Wolfgang Goethe

صيحة الوليد

فى اليوم الثامن والعشرين من شهر اغسطس سنه ١٧٤٩م بمدينة فرانكفورت الماين ، كانت عقارب الساعة تلتقى ، رافعة رؤوسها الى السماء التى كانت ملأى بالضياء والنور . وفى كبدها تتربع الشمس .. عندما صاح الوليد يعلن مقدمه ، فاختلطت صيحاته بدقات الساعة الاثنى عشرة ! وكان الوليد اول طفل يرزق به الدكتور يوحان كازبار جيته Dr. Johann Kaspar Goethe من زوجـه كاترينا اليزابيت تكســـتور Katharina Elisabeth Textor واتفقا على تسميته يوحان **ولفجانج .**

بين الشدة والحنان

كان الاب فى التاسعة والثلاثين من عمره عند مولد ابنه البكر . وكان رجلا شديدا جادا صارما ، معتادا على النظام الفولاذى الذى لا يعرف للاعتبارات الشخصية سبيلا فى تأديبه لواجب . اما الام فكانت تنحدر من اسرة نبيـــلة ، وكانت طباعها على خلاف الاب تماما ، اذ تميزت بطيبة قلبها ورقـــة

احساسها ، ومرحها الدائم وشدة ذكائها وقدرتها على تفهم الامور وتمعنها ؛ تدع لنفسها ولغيرها حرية العمل والتصرف في غير ما ضجة ولا ثرثرة ، فهي تكره الثرثرة ونقل الكلام ، وتسير دوما في طريقها الذي رسمته لنفسها ، معتزه بذاتها حتى ليداخلها الكبر والتعالى الى حد ما ! وقد تمتعت بروح معنوية عالية ، فلم تكن تفقد الامل قط عندما تحبط بها أيام الشقاء ، بل تجد فيها دعامة قوية لمسلكها في الحياة بفضل ايمانها الفياض — الذي لا يتزعزع بحال — بالله !

أعطت كاترينا بدها لجيته الاب وهي في مقتبل العمر ، حيث تزوجته في السابعة عسرة والنصف من عمرها . وربما لم تكن قد احست جيته الاب عندما تزوجته ، وربما لم تكن تعرف عن طباعه الشديدة شيئا ، بل ربما حاولت ان تخفف من حدة هذه الطباع .. ولكنها — على اية حال — استطاعت أن تخفف من وقعها على ابنهما . وكان لذلك اكبر الاثر على شاعر المانيا الاعظم ، فاعلنها صريحة في قطعة من شعره ، ذكر فيها الملامح الرئيسية الهامة التي انتقلت اليه من ابويه وحلت في شخصه ، فقال :

"Vom Vater hab' ich die Statur,
Des Lebens ernstes Führen,
Vom Mütterchen die Frohnatur
Und Lust zu fabulieren."

اى :

« عن الاب عندى القوام ،
وتسيير الحياة في جد ،
ومن الاميمة الطبع المرح ،
والنزوع الى الخيال . »

وفي الواقع ، ان الاثر الذي تركته الام في انها جيته واضح جلي . واذا كانت الآراء تتفق على أن كثيرا من الرجال العظام

انما تكون لهم امهات ممتازات . فذلك ما ينطبق على حياته كل الانطباق . وقد بقى حبه طوال حياته بذكر هذا الاثر الكبير الذى طبعه امه عليه وعلى « كيانه » . هذا فضلا عن حبها الشديد « لهانز المحبوب المدلل » ، ذلك الحب الذى استمر على ما هو عليه دون فتور او نقصان حتى وفاتها .

واذا رجعنا الى ايام طفولة الشاعر ، نجد امه كاترينا تجلس اليه بنفسها ، تغذى خيال ابنها بقصصها الشيقة ، وتشجعه وتبث فيه من روحها المرحة اللطيفة ، حتى احالت بيتهم المغلق عليهم فى هير شحرابن Hirschgraben الى عالم صغير جميل.

وبينما كان الاب يأخذ ابنه بالنظام الصارم ، ويحاول ان يلقنه فيضا من المعرفة ، كانت الام تتبع معه طريقة اخرى فى التعليم . . طريقه اللعب ! وكان ان اثمرت التجربة ، وتغلبت الام على قلب طفلها الذكى ، وتوغلت بطباعها الى داخل نفسه . وظهر اثر ذلك كله واضحا فى سنى شبابه الطويلة ، بينما لم يبد عنده اثر لتربية ابيه الا فى ايام الشيخوخة فحسب !

ولا يفوتنا — ونحن فى معرض الحديث عن عائلة حياته والرها فى تنشئة الشاعر — ان نذكر اخته كورنيليا Cornelia التى كان اخوها يحبها حبا جما . ولا عجب فى ذلك ، فهى الوحيدة التى تركها له القدر من اخوته واخواته العديدين !

وهناك ايضا ، الحدة التى كان لها اثر طيب فى الشاعر ، اذ كثيرا ما بقى معها ، وسكن اليها ، واحبها حبا خالصا .

وكان للحدة الفضل فى توجيه حياته الى المسرح اذ قدمت الى حفيدها « هانز » قبيل وفاتها معرضا للعرائس ، من ذلك النوع الذى يسلى به الاولاد انفسهم فى اوقات فراغهم .

وكان الاطفـال يترقبون الساعات التى يقضونها فى بيت آل تكستور اذ كانت عائلة امهم تتيح لهم حرية الحركة واللعب بشكل لا يجدونه فى بيتهم ، حيث كان الاب يغلق باب البيت طول اليوم بسلسلة حـــديدية ، ونادرا ما كان يسمح لهم بالاختلاط بالاطفال الآخرين أو تكوين ثلة من أصدقاء اللعب !

واثر ذلك الحرمان فى الشاعر اذ ادى به الى تعويض ما امتنع عليه وحرم منه بالنظر والتمعن فى الطبيعة الخلابة التى كان يطالعها من النافذة ، وراح يسرح ببصره عبر الحـــدائق والحقول الى نهر التاونوس Taunus ، منحدرا بناظريه فى شمال غربى المدينة الى نهر الراين Rhein .

ومن النافذة ، كان فولفجانج الصغير يرى العاصفة المرعدة وينتظر نهايتها !

ومن النافذة ، كان يتتبع الشمس وهى فى موكبها ، حتى يختفى قرصها المشع وراء السحب أو عند الغروب !

وهكذا صارت عيناه الحادتان تنقل مناظر الطبيعـــــة ليحتفظ بها فى خياله الخصب ، وكان له فى ذلك خير بديل عن صداقة الاطفال واللعب معهم !

فرانكفورت على زمن جيته

شهدت فرانكفورت Frankfurt مولد جيته الشاعر كما شهدت صباه . ولكن فرانكفورت هـــــذه تختلف عن فرانكفورت اليوم !

كانت فرانكفورت فى ذلك الوقت مبنية على الطريقـــــة

القديمة ، شوارعها ضيقة ومتعرجة ، تحيط بها الاسوار . ويسكنها حوالى اربعين الف مواطن فحسب ! ولكن الحياة كانت تدب فى المدينة وتجعلها شعلة من النشاط والحركة فى اثناء اقامة معرض المدينة الكبير او فى ايام الاحتفالات والاعياد التى كانت تقام عند انتخاب الاباطرة الالمان وتتويجهم . وقد وصف لنا جيته فى « الشعر Dichtung und Wahrheit والحقيقة » الاحتفالات التى أقيمت بمناسبة تتويج يوسف الثانى Josef II وذلك كما رآها بنفسه ، فنقل الينا منها كثرة من الالوان الساحرة الجميلة !

وقد رأى يوحنا فولفجانج جيته العالم مجتمعا فى هذا المكان ، كما شاهد ازياء جنوب المانيا ، وفيها من المرح والالوان ما فيها .

وفى فرانكفورت اجتمعت كل انواع السلع التجارية لوسط المانيا ، وفيها من شخصية المانيا العليا وميزاتها ما يفوق بكثير ما فيها من المانيا الدنيا . كذلك قابلته فى هذه المدينة مجموعات من الاحساسات النابضة والآراء المختلفة ، التى استطاعت عقليته الفذة ان تعمل بها وبوحى منها . والى جانب هذه الثروة الفكرية ، كان عليه أن ينمى معارفه بكل انواع الثقافة التى تهيئه — كما يريد ابوه — لوظيفة عالية فى مجتمع المدينة ، ولا يكون ذلك الا بالدرس والتحصيل . ومن ثم اجتمعت لديه مجموعة طيبة من المعلومات والمعارف .

حركة بعد السكون

وفى اثناء حرب السنين السبع ، وبعد احتلال الفرنسيين لمدينة فرانكفورت فى اليوم الثانى من يناير سنة ١٧٥٩ م ، جاء الى بيت جيته مرافق الملك الكونت تورانك Graf Thornac

الذى كان يقيم فى موانز Mouans منذ سنة ١٧١٩ . وكان هذا الرجل ذا ثقافة عالية ، يهتم بالفن اهتماما كبيرا ، فراح يدعو اشهر الرسامين اليه ، واعد لهم مرسما خاصا ، وطلب اليهم تنفيذ بعض الصور لقصر أخيه .

وهكذا دبت الحياة فى البيت الهادىء ، فضلا عن أن هذه الحياة الجديدة اتاحت لفولفجانج الصغير ان يكون على صلة بأهل الفن . فلما انشأ الاجانب المسرح الفرنسى بالمدينة ، اتصل جيته به ، فأعطاه ذلك مجموعة من الافكار الجميلة التى ادخرها للمستقبل .

أشعار الصبى

وفى مقتبل العمر ، كتب — بموافقة ابيه — مجموعة من الاشعار والثنائيات والوحدات ، وجمعها فى مجلد كامل الا انه اعدمه فيما بعد عندما كان فى ليبتسيج . ولم يبق لنا من هذا المجلد الا القليل ، ومن ذلك رسالتى تهنئة بعيد الميلاد بعث بهما فى سنة ١٧٥٧ الى آل تكستور من أجداده ، وهاتين الرسالتين ليستا بذات قيمة فى حد ذاتهما . ومن بقايا هذه الاعمال المبكرة قطعة روحية قد تكون أكثر دلالة واعظم قيمة ، فقد وضعها بناء على طلب الآنسة Fräulein von Klettenberg فون كليتنبرج وهى صديقة متدينة من أصدقاء امه . وطبعت هذه القصيدة دون علمه فى جريدة المرئيات Die Sichtbaren فى سنة ١٧٦٦ تحت اسم « أفكار شاعرية عن رحلة المسيح Poetische Gedanken über die Höllenfahrt Jesu Christi عيسى الى جهنم » .

ولا يمكن الوصول الى أية نسخة اخرى من ذلك العدد اللهم الا ذلك الموجود حاليا ضمن محفوظات جيته وشيلر

فى فايمار ، فهى النسخة الوحيدة الباقية من عدد جريدة المرئيات المنشور فيه قصيدة جيته هذه التى تحدث فيها بتعبيرات روحية عن العدالة « الشنيعة » لتغلب المسيح على الشرور فى جهنم ، والتى تجعلنا ندرك حقيقة موهبة جيته الشعرية وهو لم يزل فى أول حياته .

سوء استغلال

واذا كان البعض يرى ان وحدة جيته وعزلته فى بيت أبيه فى هيرشجرابن . . اذا كان يرى فى ذلك فائدة كبيرة عادت على الشاعر ، وعلى التركيز الروحى عنده فى أيام الصغر ، الا أنها عادت ايضا بآثار سيئة عليه اذ حرمته من الخبرة الكافية بمعاملة الناس ، والعناية اللازمة التى يتطلبها العمل مع الآخرين ، والحذر الواجب فى العلاقات مع الغير . وهكذا خرج جيته الى الحياة ، فصادف أول ما صادف مجتمعا يضم ثلة من الشبان الذين أساءوا استغلال مواهبه الشعرية للوصول الى غرضهم والحصول على المال .

وانكشف هذا الامر ، وأدى الى تحقيق دقيق ، اثبت براءته ، ولكنه تسبب فى اثارة كثير من المتاعب الخطيرة فى بيت أبيه .

وقد آلمته هذه التجربة المريرة كل الايلام ، اذ تبين له أيضا أن ذلك التحقيق شمل ماجى Maggy التى كان يوليها حبه وعطفه والتى كان يسير متأبطا ذراعها فى أثناء احتفالات التتويج فى وسط المدينة . وكانت الفتاة المحبوبة « مرجريت فاجنر Margaret Wagner من أوفنباخ Offenbach » بريئة ولكنها اختفت الى الابد من فرانكفورت ومن أمام عينى جيته . واذا كان قد جعل منها اثرا خالدا فى « فاوست »

دائما يرجع ذلك الى انه كان قد ظهر له وهو الى جانبها « عالم جديد من الجمال والاعجاب » .

وأمر جيته الاب بأن يرافق ابنه منذ تلك اللحظة مرافق خاص يصحبه فى كل خطوة يخطوها وفى كل جولة يقوم بها — وكان هذا المرافق هو الذى جسمه لنا فى « فاوست » فى شخصية فاجنر !

باريس الصغيرة

وفى خريف سنة ١٧٦٥ ، تمت الاجراءات التى قام بها جيته الاب ليلحق ابنه فى الجامعة ، ونزل الابن عند ارادة أبيه القوية وذهب الى ليبتسيج حيث اعتزم دراسة القانون . وعلى الرغم من انه كان صغيرا جدا ، الا انه استطاع ان يعتاد بسهولة عيشة الوحدة اذ كان مثقفا ثقافة كافية لان تجعله يعتمد على نفسه ، فلا يحتاج الى توجيه ، بل كان عليه أن يشق طريقه ويمر بالتجارب القاسية التى تنتظره بعيدا عن منزل العائلة .

وألفى جيته لايبتسيج — او باريس الصغيرة — مدينة تختلف تماما عن كل ما رأته عيناه من مدن قبلها ، ووجد نفسه فى ظروف جديدة عليه كل الجدة ، وان كان قد بدا له كل شىء فى لايبتسيج — فى بداية الامر — وكأنه تكملة جميلة لايام فرانكفورت البديعة !

كانت لايبتسيج تعج بالناس القادمين لزيارة معرض الخريف الضخم . وكان بين هؤلاء الوافدين كثرة من التجار والاجانب ، ومنهم وفرة من اهالى فرانكفورت ذاتها .

ولكن معرض لايبتسيج سرعان ما انتهى ، وبنفس السرعة تغيرت الامور واتجهت وجهة اخرى !

صحيح أن لايبتسيج مدينة حديثة ـ بالنسبة لفرانكفورت ـ تحيط بها الحدائق الغناء والبساتين الواسعة ، وصحيح أن لايبتسيج كانت مركز الادب والثقافة ، وفيها جامعة المانيا الكبرى ، وصحيح أن اهل لايبتسيج اكثر اناقة وميلا للاسلوب الفرنسى فى الحياة ! وصحيح أن اللهجة المتكلمة فى لايبتسيج تشبه الى حد كبير اللغة الالمانية التى يتحدث بها اهل دريزدن Dresden والتى لها شهرتها فى جميع انحاء المانيا . . صحيح كل هذا ، ولكن جيته كان ينظر الى فرانكفورت نظرة أخرى ، ففيها ولد، وعلى أرضها أمضى طفولته وصباه وكانت نشأته ! وفيها اختلط بالناس لاول مرة ، فالفى أهلها يتحدثون لهجة شعبية ، تفيض بالامثال والاقوال والحكم ومقتطفات الكتاب المقدس . ومن ثم كان جيته فى كل تصرفاته وعاداته واسلوبه شعبيا خالصا ، مما دعا السيدة بيمه Madame Böhme تنتقده فى ذلك ، وتلومه على تمسكه بهذه العادات والاساليب فى مجتمع لايبتسيج الراقى ، حيث كانت هذه التصرفات تعد سلوكا سيئا ، ومنحى غير جدير باسان مهذب . وهكذا ادرك جيته انه لا يزال أمامه الكثير ليتعلمه ، ففتح عينيه ، وانصت الى كل ما كانت السيدة بيمه تلقنه اياه . وخاصة أنها تتحدث اليه بكثير من الود وفيض من الاخلاص حيث كان جيته موصى به عند زوجها الاستاذ بيمه .

بين الحقوق والآداب .. والمجتمع

وفى يوم من الايام جاء جيته الى الاستاذ بيمه ، وافصح له عن رغبته فى دراسة الادب اليونانى اذ كان يفضل هذه الدراسات عن الحقوق ، فما كان من الاستاذ الا أن أنبه على تفكيره ، وأجبره على البقاء فى كلية الحقوق . وحاول جيته

ان يبقى بحسه ومشاعره وأذنه وجسمه فى هذه الدراسةالتى اختيرت له ، الا أن المحاضرات كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهه مما أدى به الى أن ينصرف عنها سريعا الى المجتمع المرح !

واختار جيته سكنا له فى Grosse Feuerkugel جروسه فوير كوجل (كرة النار الكبيرة) فى السوق الجديدة رقم ٣ Neumarkt Nr. 3.حيث كان ليسينج يعيش قبل عشرة أعوام وفى هذا البيت اتصل بالطلبة ، ونمى علاقاته معهم .

وادت مقابلات جيته مع طلبة الطب عندالاستاذ لودفيج Professor Ludwig حيث كان يتناول طعام الغداء فى أول الامر ــ الى ان تأثر جيته بجو دراستهم ، وراح يهتم بالطب .

وفى ذلك الوقت ايضا ، اجتمع جيته بجيليرت Gellert الذى نصحه بالتمرن على كتابة النثر بدلا من الشعر ! وهكذا اصبح جيته مضطربا فى كل شيء ، وراح ينشد لنفسه تسلية لاروحية فى مجتمعات لم يحسن اختيارها .

ووجد جيته كثيرامن التنوع فى Auerbachs Keller مطعم اورباخ . وقد استطاع ارنست Ernst Wolf Behrisch فوقف بيريش ، مربى كونت ليندناو Graf Lindenau أن يؤثر فى جيته تأثيرا كبيرا . وراح ينتقده وينتقد اشعاره نقدا سلبيا ، ولكنه لم يعرف كيف يوجه الشاعر الناشيء وجهة افضل . ومما هو جدير بالذكر ان الرجل كان موضع تقدير جيته ، ومن ثم اهدى اليه ثلاث قصائد .

وزار جيته جوتشيد Gottsched برفقة مواطنه ــ وصهره فيمابعد ــ ى. ج. شلوسر J. G. Schlosser الذى قدمه الى تاجر الخمور شينكوبف Schönkopf فى بريل Brühl .

ومنـــذ ذلك الوقت وجيته يتناول طعامه لدى شينكوبف ، فضلا عن أنه راح يشارك فى الحياة الاجتماعية لذلك البيت .

انيته

وتعرف جيته فى هـــذه الفترة بابنة الرجل ، انا كاترينا شينكوبف Anna Katharina Schönkopf . وكانت فتاة على جانب من الثقافة ، تكبر جيته بثلاثة أعوام . وتطورت علاقته بها الى الحب ، الحب العارم . ولكن غيرته الشـــديدة عليها ضايقتها وجعلتها تفر منه ، ففقـدها الى الابد ، الا أنهـــا ظلت ترافقه فى خياله . وكانت بحق « منهمتـه » ــ كما كان يسميها فى خطاباته الى اخته كورنيليا ــ اذ منحته كثيرا من الافكار والاحاسيس الدفاقة التى كانت اســاســا من اسس كيانه الشعرى .

ويقول بيريش فى احدى كتيباته الانيقة وكان قد اســماه انيته Anette نسبة الى انا كاترينا هذه .. يقول بيريش ان جيته وضع عددا وفيرا من الاشـعار الغنائية والقصصية بسلوب غزلى (Anakreontisch) ولكنه لم يستطع ان يسترد حب الفتاة النافرة . وجاءت الدراما الصغيرة « مزاج العاشق المتقلب Die Laune des Verliebten » التى وضعها فى قوافى على الوزن الانكزندرينى وهى ضرب من شعر الاعتراف بالخطأ الذى ينتهى ايضا باستعمال الاسلوب المرير الذى عـرف به الشاعر جيليرت :

"Ihr Eifersüchtigen, die ihr ein Mädchen plagt,
Denkt euren Streichen nach, dann habt das Herz und klagt."

أى :

« أيها الفيورون ، الذين يضايقون فتاة :
فكروا فى مقالبكم ، ومن ثم خذوا القلب ونوحوا . »

شركاء الذنب

وبعد ما اكتسبه جيته من خبرات شخصية بالحياة واللهو ، وضع تمثيليته الهزلية «Die Mitschuldigen شركاء الذنب » . ومع أن هذه التمثيلية كانت متكاملة من الناحية الفنية ، الا أنها كانت ضعيفة فى مضمونها .

وتتناول الهزلية ما صادف الشاعر فى حياته فى فرانكفورت ، وكان يهدف فيها الى الاتيان بمواقف تبعث على الضحك — متأثرا فى ذلك بطريقة موليير Molière وليسنج فى كتابة الهزليات . وقد وضع جيته هيكل هذه القصة عندما كان فى لايبتسيج ، وأتم صياغتها فى سنة ١٧٦٩ .

وفى هذه الهزلية زار السسته Alceste سرا معشوقته السابقة صوفى Sophie ، وكانت ابنة صاحب البيت الذى ينزل فيه الشاب . وراحت المرأة تشكو اليه زوجها الفاسق زيلر Söller ، فى الوقت الذى كان الزوج يسترق فيه السمع الى هذا الحديث بأكمله . ولم يهتم زيلر بما قالته صوفى بقدر اهتمامه بمال السسته ، وهكذا سرقه من الخزينة ليواصل لهوه .

وتسلل صاحب البيت الى حجرة السسته ليطلع على ما جاء فى خطاب كان قد ورد الى السسته فى ذلك اليوم .

وينسى الرجل قطعة من الشمع فى الحجرة ، بينما كانت صوفى تتفق مع السستة على موعد يلتقيان فيه ثانية .

وراح كل من الاب والبنت يتهم الواحد منهما الاخر بسرقة السستة ، الا انه سرعان ما ينكشف امامهما فى الوقت المناسب ان بولار هو اللص ، وانه فعل ذلك فى اثناء محادثة السستة مع زوجته . ومن ثم كان كل واحد منهم آثما مذنبا ، فاضطروا جميعا الى التزام الصمت التام !

سلبية أم ايجابية ؟ !

ويرى البعض أن اقامة جيته فى لايبتسيج كانت سلبية تماما ، ولكن هذا الحكم خاطىء ، ولا يستند الى أساس من الصحة . فقد استفاد جيته فى أثناء هذه الفترة فوائد عدة ، منها تلك الاحساسات والانطباعات التى أثمرت ثمرتها الطبيعية مع الايام ، ومنها انشغاله بفيلاند Wieland وشكسبير Shakespeare ، ومنها اهتمامه بالفن ودراسته اياه !

فقد تلقى جيته دروسا فى الرسم والتصوير عند آدم فريدريش ايزر Adam Friedrich Oeser ، وهو تلميذ لفينكلمان Winckelmann مؤرخ الفن . وفى مرسم ايزر فى بلايسنبورج Pleissenburg اشترك جيته فى مناقشات هامة عن الفن .

وفى سنة ١٧٦٨ سافر جيته الى مدينة دريزدن ليزيد من معلوماته ، وليعود عينيه على الاشياء . وهناك استرعى انتباهه نشاط الهولنديين بصفة خاصة ، مما ظل يشغل فكره — حتى فى ايام حياته المتاخرة !

وفى هذه الفترة ، ارتبط بصداقة متينة مع عائلة ايزر ، ووضع كتيبا صغيرا للاغانى لفريدريكه ايرز . وهو جزء من كتاب « أغانى لايبتسيج Leipziger Lieder » وظهرت هذه المجموعة الاولى من اشعار جيته مع طائفة من اغانى ب.ت. برايتكوبف B. Th. Breitkopf بمناسبة معرض الخريف الذى اقيم فى لايبتسيج سنة ١٧٦٩ . ولكن اغانى جيته لم تجد طريقها الى الشهرة ، بل بقيت غير معروفة البتة . وربما يرجع ذلك الى ان جيته لم يقدم فيها الا القليل من الابتكار فحسب ، فجاءت المجموعة لتظهره مجرد مقلد للغزليات بوجه عام ، وان كانت تستوقفنا من آن لآخر بعض الصور والاحاسيس المنبعثة عن ملاحظاته الخاصة .

وكان من الممكن ان يتوقف جيته عند هذا الحد ، ويكتفى بما أصابه من فشل ذريع فى لايبتسيج ، فينصرف عن الشعر الغنائى ، الا ان ولعه الشديد بالشعر هو الذى دفعه الى الاستمرار وتكرار محاولاته .

ولكن جيته كان لا يزال متأثرا جدا فى أعماله بالاساليب الاجنبية — الامر الذى ادى به فى اثناء وجوده بليبتسيج الى الا يكون قادرا على وضع اشياء جديرة بالذكر مما تنبع عن ذاته . وفى الواقع انه كانت تحيط به من المؤثرات ما كان من الممكن ان يخرج منها بعمل قيم . كذلك اخبره بعض النقاد من المقربين منه بما راوه غثا فى اشعاره وما اعتبروه من القول الممتاز ، الا ان واحدا منهم لم يكن ليوجهه الى تحسين شعره ، على الرغم من انه كان من اليسير جدا ان تتسبب كلمة واحدة فى التقدم به كثيرا . ولكن هذا النقد التوجيهى لم يسمعه

جيته فى لايبتسيج ، فجاءت أشعاره ناجمةعن مجرد الانفعالات الداخلية مع ذاته .

حافة القبر

وأثرت بعض الاحداث فى سلوك جيته وغيرته كل التغيير ، ومن ذلك فقدانه لصديقه بريشى ، وانقطاع علاقته بأنيته ؛ فصار فظا غليظ القلب ، متطرفا ، شديد الثورة .

وزادت هذه الحال عندما سقط من على ظهر جواده ، فأصيب بحساسية شديدة تجاه كل تصرفاته ، مما سبب له انهيارا كبيرا فى صحته . وأصيب جيته بنزيف دموى حاد ، اقترب به تماما من حافة القبر ، الا أن ذلك عاد عليه بفائدة كبرى اذ اعاده الى صوابه واثابه الى رشده . فبعد أن كان يضنى جسمه الضعيف بالنشاط الزائد والسهر الطويل ، نجده يقرر اتباع طرق أخرى فى الحياة تكفل لنفسه السلامة ولصحته العودة !

وهكذا عاد جيته فى آخر اغسطس ١٧٦٨ م الى بيت ابيه محطم الجسم خائر النفس ، فاستقبله أهل البيت استقبالا باردا اذ كان أبوه قد أرسله من ثلاث سنوات الى لايبتسيج ، والآمال تحيط به ،فاذا به يعود أشبه بسفينة طافت بكثير من النواحى ، ورأت الكثير ؛ الا انها عادت حطاما ، بلا فائدة ترجى منها !

وكان أبواه غير راضيين عن حاله ، فوقف الاب منه موقفا كله غضب وحنق ، عسى أن يحس بخطئه ، ولكن الام الحانية والاخت الشفوقة خففتا من هذه الصدمة بمواساتهما له — وخاصة أن مرضه قد طال ، ولم يسترد صحته الا بعد مدة طويلة !

وافاد جيته من فترة مرضه هذه ، اذ خرج منها وروحه ملؤها التقوى والايمان اثر أحاديثه مع السيدة التقية فون كليتنبرج والرجل الصوفى الدكتور متس Arzt Metz . وكان جيته منذ الصغر يحترم المقدسات الدينية والمعتقدات عامة ، فاستطاعت بذلك روحه ان تقدر هذا العالم المعتم الخلو من الاحساسات الروحية حق قدره ، وراح يتجنب كل ما يعود عليه فى المستقبل بآثار سيئة او عواقب وخيمة ؛ كما انه استفاد بما تلقنه فى هذه الفترة فى كتابة « فاوست » .

فى شتراسبورج

وما ان استرد جيته صحته كلية ، حتى شرع فى اتمام دراساته القانونية واكمالها تحقيقا للرغبةالشديدة التى أبداها والده فى هذاالصدد ، فسافر الى شتراسبورج Strassburg فى ربيع سنة ١٧٧٠ م .

وشتراسبورج مدينة المانية الاصل ، وان كانت تتبع فى ذلك الوقت فرنسا منالناحية السياسية فحسب . وما ان وصل اليها جيته حتى شعر بصدى طيب فى نفسه تجاهها ، فهى قرب نهر الراين وفى وسط الامتداد الشاسع لوادى الراين العلوى . ومن ثم تميزت المدينة بحركتها ونشاطها الدائمين ، وبتجارة « الترانزيت » الواسعة . كذلك وجد الشاعر فى ضواحيها الكثيرة المحيطة بها والقرى الصغيرة الجميلة القائمة فى المنطقة ما بين النهر ومرتفعات فازجن فالت Wasgenwald .. وجد فيهما جميعا من الجمال الطبيعى ما يأخذ عليه لبه ، فكانت تحلو له النزهات القصيرة فى هذه المنطقة الخلابة الرائعة .

واذا ما قارنا شتراسبورج بلايبتسيج ، نجد الحياة فى

ستراسبورج اقرب الى الالزاس Elsass ، وان شخصية منطقة جنوب المانيا واضحة فيها تماما .

وكانت كاتدرائية المدينة الفخمة موضع اعجاب جيتـه ، فهي مبنية على الطراز القوطي . وكان الشاعر يعـدها أعظم عمل لفن المعمـار فى المانيـا ، بل كان يعتبرها آية من آيات الروعة التى تشهد بعبقرية بانيها Erwin von Steinbach ارفين فون شتاينباخ .

وقد تمتع جيته فى هذه الآونة بحياة المدينـة ، واحس بهدوء نفسه ورقة طباعه يعودان اليه مع الايام . وصـارت ستراسبورج اكثر اهمية له من لايبتسيج التى بدات فى الاختفاء من ذكرياته شيئا فشيئا ، وخاصة بعد أن علم بزواج أنيته .

كذلك تخلى جيته عن أسلوب الحياة الذى كان يتمسك به فى فرانكفورت ، كما ترك ما كان يغلب عليـه من تأثيرات اجنبية كانت تتنافى فى الواقع مع طبيعته ،مستبدلا بهـا ما اكتسبه من طباع وتقاليد المانية أصيلة .

المشير سالتسمان

وسنحت لجيته الفرصة ليجد الصديق المخلص والمشير الحق ، عنـدما شارك فى مائدة سالتسمان Salzmann فى حارة كنوبلوخ Knoblochgasse . وكان سالتسمان هذا رجلا فى الثامنة والاربعين من عمره تربى تربية علمية طيبة ، وكان يشرف بنفسه على التوجيـه الفكرى للرفاق الصـغار الذين يشاركون فى مائدته . وأحرز جيته سمعة طيبـة فى انجلباخ Engelbach ، فلما أشرف يونيو ١٧٧٠ على الانتهاء ذهب فى صـحبة سالتسمان فى رحلة أطول الى زاربريكن Saarbrücken ، واشترك معهما صديقه فايلانت Weyland .

وفى طريق عودته ، شاهد جيته فى نيدربرون Niederbronn الاطلال المقدسة للمبانى العتيقة ، فالهمته ثنائية « المتجول Der Wanderer » التى اوضح فيها تماما الفرق بين الانسان الذى يتمتع بحياته فى سذاجة والانسان المثقف المسافر عبر ايطاليا . وتدور حوادث هذه الثنائية فى ايطاليا . وقد تاثر جيته فى اسلوب هذه الثنائية بالكاتب الانجليزى المعروف جولد سميث Goldsmith . ويتضح ذلك بوضوح فى نص « انشودة رعاة زيزنهايم Sesenheimer Idyll » فى « الشعر والحقيقة » .

فريديريكه بريون

وفى اكتوبر سنة ١٧٧٠ قدم جيته ـ ومعه صديقه فيلانت ـ الى زيز نهايم Sesenheim ، وهى قرية تقع فى سهل الراين على بعد ست ساعات الى الشمال من شتراسبورج ، وتختفى تقريبا وراء اشجار الفاكهة .

جا جيته الى بيت قسيس القرية بريون Pfarrer Brion وفى هذا البيت العتيق ـ الذى صوره لنا جيته مرارا ـ كانت تعيش عائلة طيبة محسنة . وكانت زوجة القس على صلة قربى ونسب مع فيلانت ، فاستضافت الصديقين واكرمتهما وغمرتهما بحفاوتها .

ومنذ اللحظات الاولى من هذه الزيارة ، استاثرت فريديريكه بريون Friederike Brion ، الابنة الثالثة لهذه العائلة ، التى كانت فى الثامنة عشرة من عمرها . . استاثرت باعجاب جيته ، وشغلت باله . وقد وقع تاثيرها القوى عليه ساعة ان خطت الخطوة الاولى فوق عتبة الدار ، وهى ترتدى الملابس الوطنية .

وما ان عاد جيته الى شتراسبورج حتى بعث اليها برسالة

بسالها فيها صداقته ومراسلته . وتوطـــدت بينهما عرى الصداقة ، فعاود جيته زيارة زيزنهايم الحبيبة فى عيد الفصح ونزل فى بيت القس المضياف حيث بقى عدة أيام ، حتى اعتاد على العائلة التى صارت بالنسبة له اشبه بالعمـدة بريمروز Primrose فى روايات جـولد سميث . وكان وجـــوده فى هذا المكان الهادىء أمرا محببا ، اذ كان جيته شابا محدثا ، فكانت تجتمع اليه الافئدة لتستمع الى ما يرويه من أساطير يندهش لها السامعون. وكثيرا ما كان الاصدقاء يغنون الاغانى الشعبية ، ويرقصـــون الرقصـــات البلدية . وكانت دائرة الاصدقاء هذه تتسع اذ كان جيته يسعى الى صحبة ابنـــاء القرية ذاتهم .

اما علاقاته مع فريدريكه ، فتطورت ودخلت فى دورعنيف اســفر عن « أغانى زيزنهـــايم Sesenheimer Lieder » التى وصفها جيته بأسلوبه الطبيعى الخاص ، معتمدا فى ذلك على ما صادفه بنفســه فى حياته الشخصية ، وجاعـــلا من ذلك موضوعا لشعره .

الطريق الى الشعر الاصيل

وظهر عامل جديد ساعد على تثبيت جيته فى هذا الاتجاه ، فقد جاء الى شتراسبورج ، فى خريف سنة ١٧٧٠ ، يوحنا جوتفريت هيردر Joh. Gottfried Herder، مكتشف الشعـــر الشعبى . وأقام هيردر وقتا غير قصير فى « اللوفر Louvre » اذ كان يجرى عملية جراحية فى عينيه ، وذهب جيته لزيارته هناك بدافع من الشهرة التى سبقت هيردر الى تلك البلدة .

وكانت هذه الزيارة فاتحة عهد جديد لجيته ، فقد اعجب الشاب بهيردر اعجابا شديدا ، حتى انه ظل يواظب على لقياه

منذ ذلك الوقت ، وراح ينهل من تجاربه ، ويجترف من وافر معلوماته وواسع خبراته .

وكان جيتـــه يستمع الى هيردر فى دهشة ، وهو يفتح أمامه الطريق المؤدى الى الشعر الاصيل الذى يوجد فى كل مكان حتى اذا ما ظهر عبقـرى امكنه أن يعبر عنـه ويكتشف عن ذاته مباشرة .

ودل هيردر جيته على الاصول الحقيقية ، لا المنمقة ، ومن ثم الشعر الاصيل والاغانى الشعبية ، ثم الكتاب المقدس الذى كان جيته يعكف على قراءته فعلا منذ وقت ليس بقصير ، ثم «وميروس ، واغانى أوسيان Ossian ، واخيرا ــ اكبر رجال الادب المسرحى فى كل العصور ــ وليام شيكسبير .

وهكذا ، لقنه هيردر كيف يبحث فى الطبيعـــة ، وكيف يتعمق الى الاصول ، وكشف له ــ باختصـــار ــ كل اسرار الشعر الحقيقى الاصيل .

واستطاع جيته ــ عندئذ فحسب ــ انيفهم ماهية وحدة الشعر ، وبدا اعجابه بشكسبير وعرفانه بعبقريته التى لم تكن بالنسبة له الا « القوة المبدعة » للروح .

ونقل هيردر رسول الانسانية العظيم الى جيته نظريات روسو Rousseau فيلسوف جنيف عن الدين والتـــاريخ والشعر . وهيردر هو ذاته صاحب نظريات الحاجات العملية الماسة « للثورية » ، فضلا عن انه هو الذى حول اتجاهات جيته بصفة خاصة الى السبـــل الصحيحة ، ونبهه الى ان الحديث يجب الا يكون ناجما عن الدراسة أو مقلدا للغير ، بل يكون صادرا عن الاحساســات الشخصية الداخليـة ومعبرا عنها .

وهكذا عرف جيته : اين هو وما ينبغى أن يعمله فى المستقبل . وعلى الفور ، بدأ فى ترجمة هذه الاقوال الى أعمال ، فترك كل ما هو بعيد عن الروح الالمانية ــ وخاصة ما كان من تقليده للفرنسيين ــ وعاد الى الوطن .. وطنه هو حيث وجد الالمان « وانبثقوا » . وراح يجمع الاغانى الشعبية الالمانية « التى انبعثت عن الطبيعة مباشرة » . وتغلغل جيته بالفعل الى طبيعة الاغنية الشعبية وادرك كنهها ، ومن ثم استطاع ان يجعل من شعره « هايدنريزلاين Heidenröslein » تحفة فنية رائعة ، بل فريدة من نوعها ــ على الرغم من انه نظمها على اساس مسودة غير مرتبة .

وداعا لفريديريكه

واخيرا انتهى جيته من دراساته وحصل على اجازة الحقوق ، وعاد الى بلده . . ولكنه كان شخصا آخر غير ذلك الذى كانه من قبل !

عاد الى بلده بعد رحلة طويلة عبر الالزاس العلوى ، ثم قال « وداعا » لفريديريكه التى تحطم قلبها عندما اتضح لها انه لم يفكر فى اتحاد قلبيهما ، بل رأت اهدافه تتحول عما كانت عليه من قبل . وهكذا انفصمت هذه العلاقة بين جيته وفردريكه . ومع أن هذه الفتاة قد استطاعت ان تتصل ــ بعد سفره ــ بأحد اصدقائه فى شتراسبورج ــ وهو ى. م. ر . لنتس J. M. R. Lenz ــ الا انها لم تتزوج قط حتى توفيت فى سنة ١٨١٣ ، وكانت فى ذلك الوقت تقيم مع ابن اختها فى ميسنهايم Meissenheim قرب لار Lahr .

ولقد كان لفريدريكه ركنا فى قلب جيته واهمية فى شعره ولذلك خلدها اروع خلود عندما قدم حكاية حبهما فى صورة بديعة فى مؤلفه « شعر وحقيقة » .

ومما يدعو للاسف أننا لم نعثر لها على صور شخصية قط ، وحتى ذلك الرسم الزيتي ـ الذى ظـل محفوظا لدى عائلتها فترة طويلة ـ اختفى بطريقة غامضة ، كذلك ضـاع الرسم « السلوت » Silhouette ـ الذى كان فى حيازةلافاتر Lavater .

جيته المحامى

قلنا ان جيته عاد الى بلده ، فاستقبله ابوه فى هذه المرة بسرور عظيم وترحاب شديد ، اذ وجد ابنه فى اتم صحـة جثمانية واحسن حال روحية ، ووجد فى ابنه ما يشرفه وخاصة بعد أن صار ـ الاب ـ مستشارا امبراطوريا !

وفى ٣١ اغسطس ١٧٧١ قبل جيته محاميا فى فرانكفورت ، ولم تمض الا ثلاثة أيام حتى اقسم اليمين فى ٣ سبتمبر امام فون اولينشلاجر Senator v. Olenschlager على أن يكون مواطنا فرانكفورتيا .

وكان جيته يرنو الى حياة بعيدة عن القيـود ، تجللها الاشعار ، فلم يرق له على الاطلاق هذا العمل الجديد ، فتركه لوالده يقوم به . وقد حاول الاب أن يعلم ابنه كيف يثابر على النظام والعمل فى مهنته ، الا ان جهوده باءت جميعا بالفشـل التام .

وفى الواقع ان جيته ظل فى صراع داخلى شديد منـذ عودته الى « بؤرة المتاعب » ، وذلك لاسباب كثيرة فى مقدمتها احساسه بالخطأ الفظيع الذى ارتكبه فى حق فريدريكه .

واتجه جيته الى المسرحية ، فوضع مسرحية تصـور حياة الفارس « جيتس برليشنجن Götz von Berlichingen»

وتناول موضوعات اخرى تتفق ايضا مع العاصفة الثائرة فى نفسه والاجهاد الذى يحس به فكتب بروميثيوس Prometheus واهاسفر Ahasver ، ويوليوس قيصر Julius Cäsar وشخصية سقراط Sokrates التى أعجب بها منذ الصغر الذى كان يعتبره « روح البطولة الفلسفية » ، واخيرا كتب فاوست Faust .

وغذت اناشيد بندار Pindar الحماسية اشعار جيته الغنائية بلون جديد . ومن ثم نظم مجموعة من الاناشيد غير المقفية وذلك فى اثناء جولاته المتعددة ، ومن بين هذه الاناشيد تلك الانشودة التى يوجه فيها احد المتجولين حديثه الى العاصفة «Wanderers Sturmlied» . وغالبا ما كان جيته يعود فيدهش لهذه الاناشيد والاسلوب الذى صاغها فيه ، حيث تداخلت فيها التصورات القديمة مع الحديثة ، واختلطت فيها لغة القدماء مع التعبيرات الباهرة التى تميز بها الاسلوب الحديث لجيته الذى كان مدعاة لفخره وزهوه .

عودة الى الطريق العاطفية

وكان جيته يسافر فى اثناء رحلاته من آن الى آخر الى درامشتات Darmstadt وهومبورج Homburg ليقابل الشخصيات الادبية فيها . والتقى فى دارمشتات بكارولينه Die grosse Landgräfin Karoline . وكانت هذه الكونتيسة الكبيرة قد انشأت مركزا يضم بعض الشخصيات السائبة المرموقة .

والتقى جيته كذلك بالمستشار العسكرى ميرك Merck الذى كان دائم التشاؤم بحيث بدا فى عينى جيته « طبعة جديدة » من بيريش . وقد أدرك ميرك مواهب جيته ، وحاول أن يؤثر

فيه تأثيرا مفيدا ، فكان ينقده دائما ، بل ربما جاء النقد مرا ساخرا . وقد ظن البعض انه هو الذى أوحى لجيته بدور مفيستو Mephisto ، الا أن الابحاث التى نشرها ر. ليبيل R. Löbell تؤكد انه لم يلعب قط هذا الدور ، بل على العكس من ذلك ، يرجع اليه البعض الكثير من الفضل . وربما كانت فكرة الاثر المضاد هى الوحيدة التى جعلت صورته تبدو على غير حقيقتها فى « الشعر والحقيقة » . وفضلا عن ذلك ، فقد كان ميرك يقاسى الكثير من الآلام والمتاعب ، وظل المستشار فون موزر Kanzler v. Moser يماريه ، وبقى خصومه يشون به ، وراح أصدقاؤه يكثرون من تخطيئه . ولم يقتصر الامر على ذلك ، فقد خدعته زوجه ذاتها . وقرر ميرك ان يعجل بنهاية هذه المأساة ، فانتحر فى سنة ١٧٩١ م .

وعاد جيته ثانية عن طريق هذه العلاقات الى الطريق العاطفية ـ وهذا ما تشير اليه « قصائد دارمشتات Darmstädter Oden » .

وانضم جيته الى مجموعة كلوبشتوك Klopstock الجذابة التى كانت فى شرف بلاط الكونتيسة الكبير بصفة خاصة .

جيتس المستقيم

وساءت جيته الاب تصرفات ابنه هذه ، اذ راح يتسكع هنا وهناك ، يترنم بأغانيه بدلا من أن يؤدى أعماله ويعد قضاياه . وكان الاب غير راض أبدا عن ذلك ، وكثيرا ما أنبه على هذا السلوك ، اذ لم يتصور قط أن أمله فى ان يرى ابنه محاميا كفئا يشار اليه بالبنان .. ثم يك يتصور أن يتبخر هذا الامل ، ويصبح مجرد أضغاث أحلام . وعلى الفور أرسل الاب ابنه الى فتسلر Wetzlar فى مايو ١٧٧٢ ليتدرب

فى المحكمة الامبراطورية العليا . ولكن النجاح لم يصادف هذه الخطوة ، فقد أمر الامبراطور يوسف الثانى باجراء تحقيق كبير للحد من الروتين القديم فى دائرة الصلح بين المتخاصمين فى المدن التابعة للامبراطورية . وهكذا تجمع عدد كبير من المحامين القادمين من جميع المقاطعات فى فتسلر ، وراحوا ينشئون لانفسهم ضروبا من التسلية ـ ومن ذلك مائدة الفرسان المرحة حيث كانوا يقومون بأتفه الاعمال بطريقة جدية تبعث على الضحك . وانتقلت هذه المائدة بنشاطها الى الريف عندما اعتدل الجو . وكان جيته يشارك هذه الجماعة لهوها ، وكانت الجماعة تطلق عليه لقب « جيتس Götz der Redliche المستقيم » .

وفضلا عن ذلك ، فقد كانت الضواحى الجميلة تستهوى جيته ، فقام بالرحلات اليها . ففى ٩ يونيو سنة ١٧٧٢ ، ذهب مع ابنتى خالة ابيه لانجه Lange الى حفل ريفى راقص فى قرية فولبرتسهاوزن Volpertshausen التى تبعد حوالى الميلين من فتسلر . وقد اصطحب قريبتاه من « البيوت الالمانية Deutsches Haus» ابنتى العمدة ، فاعجب جيته بكبراهما ـ وتسمى لوته Lotte . وهى تتميز بجاذبية ساحرة وجمال طبيعى أخاذ ، أوقعه فى حبها ـ الا ان هذا كان بلا أمل ، اذ كانت الفتاة مخطوبة الى ى. خ . كستنر J. Chr. Kestner ، وهو شاب مخلص من هانوفر Hannover كان يعمل سكرتيرا بالمفوضية . ولم تخمد نار الحب فى صدر جيته ، بل راح يغذيها ويزيد من اشتعالها حتى صار آية من التعاسة مجسمة ، فقرر الرحيل ، وأبلغ لوته ذلك فى كتاب ودعها فيه وداعا مؤثرا .

مكسيميليانه

وفى ١١ سبتمبر غادر فتسلر مصطحبا صديقه بورن

To: www.al-mostafa.com

Born ونزل الى وادى لان Lahnthal ومنـــــه الى وادى ايرينبرايتشتاين Ehrenbreitenstein حيث زار السيدة صوفى فون لاروش Geheimrätin Sophie v. La Roche عضو مجلس الشورى. وقوبل جيته بحفاوة بالغة ، وخاصة ان ميرك قدمه تقـــديماطيبا . وانعشت نفسه الحلقات التى كانت تنعقد فى ذلك المكان لتبحث فى علم الجمال . ولكن جيتـــه سرعان ما عاد مع ميرك الى فرانكفورت ، ولكن بعد ان رمته مكسيمليانه Maximiliane ابنـــة السيدة صوفى لاروش بسهام عيونهـــا السوداء الساحـــرة ، فاصـــابت منه القلب . ووقع جيته فى حبهـــا الا انها تزوجت ــ فيما بعـــد ــ من التاجـــر الايطالى الغيـــور برنتانو الذى كان يقيم فى فرانكفورت ماين .

آلام الشاب فيرتر

وقد أوحت له علاقته بمكسيمليانه بقصة « آلام الشـاب فرتر Die Leiden des jungen Werthers» الشهيرة التى نشرها فى سنة ١٧٧٤ ، واحدثت ضجة فى ألمانيا كلها اثر النهاية المفجعة التى انهى بها جيته آلام شاب عاطفى . وفى الواقع أن جيته استعار هذه النهاية من الحياة ذاتها ، اذ جاءت خاتمة فعلية لقصـة حب ك . ف . جيروزالم K. W. Jerusalem من فنـــلار عندما فشل فى حب السيدة فون هرت Frau v. Hert فانتحر فى ٣٠ اكتوبر ١٧٧٢ باطلاق رصاصة على راســـه من مسدس استعاره من كستنر .

ولم تصل رواية جيته هذه الى ما سببته من ضجة ونالته من شـــهرة بسبب ميزات تضمنتها ذات الرواية او احـــداث تفردت بها ، ولكن الظروف الخارجية والاحســاسات التى تعم الناس فى القرن الثامن عشر وتحيط بمجتمعهم فى ذلك الوقت

نمافيه من ملذات ومتاعب .. كانت جميعا مقدمة لصورة حقيقية صحيحة كليـــة ، عكست مرض العصر كما لو كانت مرآة عاكسة . ولا يعنى ذلك ـ بطبيعة الحال ـ ان القصـــة خلت من كل المقومات الاخرى ؛ أو أنها اعتمدت على الظروف وحدها ، فقد تميزت بجمال الصياغة ، ودقةالملاحظةالنفسية والميل فى شغف وحماس الى الطبيعة .. كل ذلك جعـــل « آلام الشاب فرتر » تعلو على كل ما كان قد نشر قبلا من ذلك القبيل .

جيتس فون برليشينجن

وسبق ان ذكرنا أن الشاعر وضع قبل « فيرتر » عملا آخر يثير العواطف ، اسماه « جيتس برليشنجن » ؛ وذلك فى سنة ١٧٧٣ م . ونضيف هنا انه كان لآلام فرتر أثر مباشر على رواية « جيتس برليشنجن » اذ اعادت هذه الرواية مرة أخرى الى المخيلة . ومن ثم أحدثت وقعـــا كبيرا فى دوائر المجتمع كان أشبه بالعاصفة المرعدة التى تهب بعد جوخانق كان يسوده الوهن .

واذا ما تناولنا قصة « جيتس » ، نلاحظ أن جيته اختار شخصية قوية لروايته ، فقد استطاع البطل أن يلقى القفاز مخاصما العالم وهو يستند الى قوته وحقوقه ، وكافح فى اصرار مدافعا عن سلطة الفرد على الشعـــوب الخامدة التى لا تتحرك .وجاءت هذه الرواية وبها جراة فى اتجاهاتهـــا وصياغتها ، كما جاءت من الناحية الفنية متحررة من كل قاعدة ، وخالية تماما من كل ما هو مألوف ، فنجحت بذلك فى تحطيم كل ما فى طريق التحرك والعاصفة .

وقامت شهرة جيته على اســاس متين ، كانت دعامتيــه روايتا « جيتس » و « فيرتر » .

نشاط شعرى محموم

ولقد تطور جيته فى السنوات ما بين ١٧٧٣ وسنة ١٧٧٥ ، اذ أنه اعتزل النـــواحى العمليـــة من حياته ، وحـــرم على نفســه الصلات الاجتماعية تقريبا ، حتى بقى شبه وحيـــد بالرغم من كل معارفه ، أو على الاقل لم يشعر بأدنى رضـــا حقيقى فى ما بذله من النشاط الشعرى المحموم .

وبغض النظر عن المقالين الدينيين « رسائل قس فى .. Briefe des Pastors zu ... an den neuen Pastor zu ... الى القس الجديد فى .. » و « مسالتين هامتين من الكتاب المقدس Zwo wichtige biblische Fragen » ولقد تحدث جيته فيهما عن التسامح الدينى وعن حرية نقـــد الكتاب المقدس . وبغض النظر عن القصائد الصغيرة المفردة ــ مثـل « جانيمت Ganymed » ــ فقد كتب جيته عـــديد من الهجائيات التمثيلية التى كونت قسما من «تمثيليات العرائس الاخلاقيـــة Moralisch = politisches Puppenspiel السياســية » . هـــذا وقد كتب أيضا مأســاة « كلافيجو Clavigo » .

ونرى فى « احتفـــال ثلاثاء المرفع (١) من الاب بريى Fastnachtsspiel vom Pater Brey » وفى « الهجـائيات Satyros» وفى « مقدمة لاحدث وحى الهى للدكتور بارث (٢) » .. نرى فيها بوضوح كيف هاجم جيته ذلك النوع المتعالى

---

(١) ثلاثاء المرفع هو اليوم الذى يحتفل فيه المسيحيون بانتهاء الصيام فيقيمون بهذه المناسبة « مهرجانا » كبيرا يعرف حاليا « بالكرنفال » .

(٢) Prolog zu den neusten Offenbarungen Gottes von Dr. Bahrdt

من الناس وكيف سخر من النبوة الكاذبة لاتباع روســـو . وكيف انتقد المذهب العقلى فى شرح الكتاب المقدس ، واضاف الى هذه الاعمال فيما بعد « جولات الفنـــــان فى الارض Künstlers Erdewallen» و « تأليه الفنان Kunstlers Apotheose » .

ووضع جيته مسرحيته « السوق السنوى فى بلوندرز فايلن Jahrmarktsfest zu Plundersweilern » على طريقة هزلية (Farce) . وانتقد جيته فى « آلهة وابطال وفيلانت Götter, Helden und Wieland » مقالا نشره فيـــلات عن « السسته » . وكان فيه متأثرا بالاسلوب الفرنسى فى الكتابة عن الموضوعات القديمة . واراد جيته بذلك النقد ان يشعـل النار فى القصور التى بناها فيلانت فى الهواء عن مجده الادبى .

ولم يستطع جيتـــه ان يتم الكوميـــديا الجنونيـــة « عـــرس المهـــرج Hanswursts Hochzeit » . وقـــد ساعدته هذه الروايات المضحكة فى مكافحة الاتجاهات غـــير السليمة ، كما انها احتفظت له بمكانه شاغرا بين الشـــعراء الفرناسيين (١) . وبالاضافة الى ذلك قاده هذا الاتجاه فيما بعد الى الاوبريت .

كلافيجو

وفى الربع الاول من سنة ١٧٧٤ ، قدم جيته « كلافيجو » نقلا عن رواية للكاتب Caron de Beaumarchais كارون دى بورماشيه .

---

(١) الفرناسيون هى فئة من شـــعراء اوروبا فى القرن التاسع عشر ، وفرناسوس جبل فى بلاد اليونان .

وقد بين جيته فى هذه الرواية مصير الحب غير المخلص الذى اسماه هنا دون خوزيه كلافيخو Don José Clavijo . ووضحت فى الرواية ايضا ملامح من جيته الذى احس بالخطأ تجاه فريدريكه بريون ، فاراد أن يكفر عن خطيئته ـ تماما كما حدث لفايزلينجن Weislingen فى « جيتس » .

وظهر فى رواية « كلافيجو » تقدم ملحوظ فى الناحية الفنية مقابل « جيتس اثالفة Zerrütteten Götz » . وكان ذلك ظاهرا للعيان من البداية ، الا انه لم يرض ميرك بحال ، واكد انه يمكن للاخرين ايضا ان يكتبوا رواية مماثلة ، ولذلك فقد كان ينتظر من جيته رواية تمثل العبقرية الحقة .

وقد تأثر جيته فى « كلافيجو » بهاملت Hamlet لشكسبير و « اميليا جالوتى Emilia Galotti » ليلينسج دون ان تكون بالطبع تقليدا للاخيرة كما ظن فولفجانج منتسل Wolfgang Menzel . وجاءت آراء معاصرى جيته فى تقييم الرواية مختلفة كل الاختلاف ، وبعيدة ـ الواحد منها عن الآخر ـ كل البعد . ولكننا اذا نظرنا اليها اليوم نراها خلوا من كل ميزة خاصة فهى مجرد قطعة مسرحية صالحة للتمثيل ، ولربما كانت بالفعل اكثر اعمال جيته صلاحية لمسرح .

لافاتر والفراسة

سرت شهرة « العبقرى » الكبير الذى وضع « جيتس » و « فيرتر » فى كل البلاد ، وجلبت الى فرانكفورت كثيرا من المعجبين ـ فضلا عن محبى الاستطلاع ـ الذين جاءوا لزيارة جيته . ففى ٢٣ يونيو ١٧٧٤ حضر الى منزل جيته عند هير شجرابن القس المساعد يوحنا كازبار لافاتر

Pfarrhelfer Joh. Kaspar Lavater من تسريش ، وذلك لرؤية جيته وكان لافاتر من ذلك النوع الذى ساد فى عصر شتورم درانج Sturm und Drang ، وكان يتمتع بشعور دينى يؤمن به كلية ويملك عليه حواسه كلها ، فضلا عن انه كان ثمة تشابه جثمانى بينه وبين السيد المسيح ــ وهذا ما كان يهبه بهجة الوجود السعيد . وأينما كان لافاتر ، فقد كان يبحث عن صور المسيح والرب فحسب اذ دأب على أن يجعل من الانسان موضوعا لدراسته . ومن الطريف انه كان يصطحب معه رسامه الخاص الذى كان يصور له الاشخاص ممن يجتمع بهم حتى يحتفظ بالصورة تذكارا لهم .

ولقد بدا لافاتر من الفكرة الخاطئة التى تقول ان جمال الجسم ــ وخاصة الوجه ــ هو رسول جمال الروح ، ولذلك حاول ان يعرف شخصية الناس بالفراسة Physiognomie .

وأعرب لافاتر عندما رأى جيته عن سروره الشديد بذلك وقال انه يرى كائنا عظيم التنظيم . ولم تك فكرة لافاتر ــ قبل ان يرى جيته ــ عن طراز العباقرة ، مجرد تصور ، وكان يعتبر الدين عامة مسألة شعور . وبالرغم من ذلك ، اهتم جيته بلافاتر الذى كانت له قدرة كبيرة على اجتذاب الناس بل كان يأسر محدثيه بطباعه الالمانية وتبسطه فى الحديث مع الناس وقد أخرج لافاتر عدة مقالات عن « فراسته فى معرفة الناس والسلالات (١) » ضمتها أربعة مجلدات من القطع الكبير (١٧٧٥ ــ ١٧٧٨) . وساهمت هذه المقالات بقسط كبير فى العبادات والطقوس الدينية للافراد ، واستطاع جيته بذلك ان

---

(1) Physiognomische Fragmente zur Beförderung der Menschenkenntnis und Menschenliebe

ترقى احساسه بالفن الجمالى . وواصل لافاتر جمع الصور التى اعتاد ان يضيف اليها بعض الملاحظات التى توصل اليها بفراسته . وتحمس فى استكمال ذلك العمل فيما بعد ايضا حتى صارت هذه المجموعة الضخمة التى خلفها لنا محفوظة فى مكتبة العائلة الامبراطورية فى فيينا .

جولات واجتماعات واعمال

وفى ٢٨ يونيو ١٧٧٤ سافر جيته ولافاتر يصحبه الرسام شمول Schmoll الى فيزبادن Wiesbaden حيث تناولوا غداءهم ، وقرأ جيته فى « يوليوس قيصر » ، و « اليهودى الخالد Ewiger Jude».

وفى ٢٩ يونيو مضى الجمع فى طريقه الى ناساو Nassau وبات ايمز Bad Ems .

وعاد جيته الى فرانكفورت حيث استقبل بازيدوف Basedow الرجل التربوى المتأثر بروح روسو . وسافر الرجل الى ايمز أيضا ليقابل لافاتر هناك .

وظهر جيته ثانية مع المجموعة كلها ، وقام برحلة معهم الى الراين ، ثم وصلوا الى البرفيلت Elberfeld حيث زار زميلا كان له فى الدراسة بشتر اسبورج وهو يونج شتيلنج Jung = Stilling والفيلسوف فريدريك هاينريش يعقوبى Fr. Heinrich Jacobi الذى كان يعيش فى بمبلفورت.

وتحدث جيته مع يعقوبى فى موضوعات عدة ، واهتم بصفة خاصة بالحديث عن سبينوزا Spinoza . وظهرت نظريات يعقوبى فى عدة أشعار فلسفية لجيته .

وفى أواسط اغسطس عاد جيته الى اعماله .

وفى اكتوبر زاره كلوبشتوك ، فتاثر جيته بشاعر « المسيح » ـ الذى كان مسافرا الى كارلزوهه ـ تاثرا كبيرا فى هـذه المرة ـ كما نرى فى « فيرتر » . واصطحبه الى Karlsruhe كارلزروهه وذلك لمسافة من الطريق . وفى أثناء العودة وضع جيته ـ وهو فى عربة البريد ـ أغنية « الى أصهار الزمن AnSchwager Kromos » التى كانت تشبه أسلوب هانز زاكس Hans Sachs الى حد ما .

وفى هذه المرة ، بدا جيته العمل فى فاوست و « اجمونت Egmont » ، تاركا « يوليوس قيصر » للمرة الثانية ـ الامر الذى يوضح الاتجاه الذى كان يسلكه جيته حاليا نحو الطبيعة .

وجاءت سنة ١٧٧٤ م ، من اكثر السنوات ازدحاما بالاحداث فى حياة جيته . فقد زاره النقيب فون كنيبل Hauptmann v. Knebel مصطحبا معه امير فايمار كارل اوجوست Karl August وقنسطنطين Konstantin ، وعرفهم بجيته فى فرانكفورت . وابدى الامير اعجابا كبيرا بروايتى « جيتس » و « فيرتر » ، وجعل جيته موضع تكريمه وعامله معاملة طيبة وقدره بتقدير عظيم . واصطحب جيته هذا الضابط الى ماينتس Mainz وارتبط بصداقة قوية معه .

وعندما عاد لوطنه ، وجد رسالة تنبئه بوفاة كليتنبرج ، فتاثر لذلك تاثرا عميقا . اذ كانت قد استقبلت من نصف سنة فحسب لافاتر « رجل الرب » ، وسرت بذلك سرورا عظيما ، وسماها لافاتر « كورداتا Cordata » اى محبوبة القلب .

ليلى

وفى هذه الفترة برزت علاقة جديدة لجيته كان لها اثرها البعيدحيث استمرت.من شتاء ١٧٧٤ الى ١٧٧٥ . وبدات هذه العلاقة فى حفـــل فى حفـــل كونسرت اقيم فى بيت المصرفى شينه مان Schönemann فى بيت ليبنك Liebeneck Hause عند سوق الدقيق الكبير Auf dem grossen Kornmarkte فقد قدمه صديقه الموسيقى كايزر Kayser الى « انا اليزابيث Anna Elizabeth » وهى فتاة لم تتعد السابعة عشرة من عمرها ، فوقع جيته فى حبها ، وعلى وجه السرعة تجاوبت معه الفتاة الانيقة الشقراء ، ذات العينين الزرقاوين زرقة خفيفة ، وذات التقاطيع الدقيقة والجبهة الساحرة .

وكان جيته لايحتمل ان تكون هذه الفتاة ــ وهى التى تعلمت للمجتمع الراقى ــ لطيفة ايضا مع الاخرين وتعيش فى هذا الجو الذى يكرهه الشـــاعر تماما . ولم يكن لليلى Lili ــ وهى التى ما زالت تعتمد على غيرها ــ ان تنفـــذ ارادتها وخاصة ان جيته اظهر فى عاطفته سلوكا لم يكن يتلاءم مع هذا المجتمع البلوتسوقراطى Plutokratischer Kreis . ومن ثم لم ينظر اقاربها نظرة حسنة الى علاقتهما ، بل كانت نظرتهم نظرة وسط ، اذ لم يريدوا أن يتـــدخلوا فى الامر او يتخذوا قرارا فاصلا فيه .

وفى ٣٠ مارس ١٧٧٥ رأى جيته كلوبشتوك وهـــو فى طريق عودته الى هامبورج ، واتضح لكلوبشتوك ان جيتـــه يتصرف تصرفات غريبة ناجمة عما احس به فى داخل نفســـه من شك بخصوص ما تسفر عنه علاقته المقبلة مع فتاته هذه .

ارفين والميره

وكان حب ليلى قد تغلغل فى نفس جيته تماما ، ولذا نجده يحاول فى الكوميديا الموسيقية «ارفين والميره» Erwin und Elmire ان يصور شعريا المدى السيء الذى تصل اليه مثل هذه العلاقة الوسط . وجاءت روايته تعتمد من الناحية الاديبة على رواية جولدسميث « أدوين وانجلينا Edwin and Angelina» الا ان القصة كانت بسيطة للغاية ، كما كانت واضحة فى مبناها .

وتبدأ حوادث القصة بابتعاد الميره عن صديقته المخلصة ارفين لانها كانت من انتوع الهوائى المنقلب . ولم تستطع أمها التى كانت تفكر تفكيرا عمليا خالصا ، ولم يستطع صديق الاسرة القديم (برناردو Bernardo الذى سمى فيما بعد فاليريو Valerio) ان يقوما بمواساتها فى هذه الخسارة التى حلت بها . واعتزلت ارفين كالناسك فى الغابة حيث قابلت برناردو (الذى كان يسمى فى ذلك الوقت الميره) زاعما انها ستجد فى شخصيته المواسى الرقيق ، ومن ثم يتحدان بعد فراقهما وتعود السعادة لترفرف عليهما .

واهدى جيته ليلى بعض اشعار هذه القصة التى سرعان ما عرضت فى فرانكفورت ، وحصلت الفتاة على نسخة منها .

ويبدو ان جيته عمد الى اعطاء وصف ذو خيال واسع للفكرة الاساسية للرواية الغنائية « كلاودينه فون فيلابيلا Klaudine von Villabella التى اتمها هى الاخرى فى ربيع سنة ١٧٧٥ . وربما كان قد اقتبس مادتها من قصائد الصوص الاسبانية القديمة . وفى سنة ١٧٧٨ ، أعاد جيته — وهو فى ايطاليا — كتابة كل من الاوبريتين ، ونظمهما بعد ان انتزع عنهما أكثر صفات علاقاته الشخصية .

بين الشعر والحقيقة

ويبدو أن جيته لم يحس هو نفسه بشعور عميق كذلك الذى صوره لنا فى حكاية « افين والميره » ، بل كان هو نفسه سببا فى جانب كبير من الخطأ الذى أدى الى ألا تنته هـــذه العلاقة نهايةمرضية بزواج سعيد . حقيق ان جيتـه احب ليلى ، ولكنه لم يكن لديه من العـزيمة ما يذلل العقبـات التى تعترض طريق هذا الحب ، فكان لذلك أثره على المحبوبة بلا شك .

لقد تقدم جيته لخطبتها رسميا فى يوم عيد الفصح لسنة ١٧٧٥ م ولكن سرعان ما بدأ يشك ثانية فيما اذا كان هـذا الزواج سيكون ناجحا سعيدا . وأراد أن يختبر حقيقة نفسه ، فقام برحلة الى سويسرا فى أواسط مايو من سنة ١٧٧٥ مع الـكونت شتولبرج Graf Stolberg والـكونت كـورت فون هاوجفيتش Graf Kurt v. Haugwitz . ومروا وهم فى دارمشتات ــ بميرك ، ثم رحلوا الى كارلزروهه حيث التقى جيته لاول مرة بخطيبة الامير كارل اوجوست أمير فايمار . وعندما بلغوا مدينة شتراسبورج قابل جيته لنتس Lenz، ثم ذهب وحده الى امنديجن Emmendingen لزيارة اخته كورنيليا التى كانت قد تزوجت منذ سنة ١٧٧٣ من صديقه ى. ج. شلوسر ولكنها لم تشعر بالسعادة التامة فى هذا الزواج .

وفى السابع من يونيو راح جيته يتجول فى مساقط الراين عند لاوفن Laufen ومنها اتجه الى تسيريش Zürich حيث كان قد اتفق مع زملائه فى الرحلة على اللقاء فيها . وزار لافاتر الذى كان يعيش فى بيت فالدريس Waldris على الجانب الاخر من ليمات Limmat وقوبل جيته بترحاب شديد .

وزار الشاعر ايضا بودمر Bodmer الذى كان قد غمره النسيان منذ وقت طويل فى منزله المطل على مناظر رائعة الجمال عند شينبرج الاعلى Schönenberg (فلونترن Fluntern) . ومن ثم قام برحلة على بحيرة تسيريش Zürichsee مع مواطنه باسافانت Passavant

وفى اثناء هذه الجولة الممتعة خرجت الى حيز الوجود قصيدته البديعة « على البحيرة Auf dem See » . وفى هذا المكان الرائع تعاود فكره ذكرياته مع ليلى التى لم تكن لتغيب ذكراها عن نفسه وخاصة بعد ان تاثر بجمال الطبيعة الاخاذ على بحيرة تسيريش ، ثم عند اينزيديلن Einsiedeln فراح خياله واحساسه الشاعرى يغذى هذا الحب فاحس به يقوى ويشتد وينمو على بعد المسافة بينهما .

واتجه الى تل Tell ورويس Reuss ، ثم الى سان جورتهارت St. Gothard حيث القى نظرة الوداع الى ايطاليا استعدادا للرحيل والعودة الى محبوبته التى كانت تحتفل فى ذلك الوقت — وحدها — بعيد ميلادها الثامن عشر ، وخاصة ان القلب الذهبى الصغير الذى اهدته ليلى الى حبيته ليضعه فى سلسلة حول رقبته .. هذا القلب الذهبى فعل فعل السحر ، وملأ الشاعر بالشوق المتزايد لحبيبته ، فراح يقبل القلب الصغير وهو يتهيأ للعودة الى « قفص الحب » . وهكذا تعلق بخيط من ذلك المقطوع الذى اشار اليه فى قوله :

"Wie ein Vogel, der den Faden bricht
Und zum Walde kehrt",

اى :

« كالطير يحطم الخيط

ويعود الى الغابة » .

نعم ، لم يقطع جيته الخيط الذى كان يربطه الى معشوقته ليعود الى الغابة بل انه تعلق بكل اثر لهذا الخيط حتى يصل الى الحبيبة الجميلة .

بيبه شولتهس

وتوقف الشاعر فى تسيريش بضعة ايام قضاها مع لافاتر حيث تعرف على بيبه شولتهس Bäbe Schulthess اللطيفة وهى تنتمى الى مجموعة لافاتر ، وتهتم بمسائل علم الجمال اهتماما خاصا ، وكان كايزر الموسيقى يتردد على منزلها ليعلم ابنتها هذا الفن .

وقد كان لها دورها فى حياة جيته اذ ظل يراسلها ويبعث اليها ـ حتى سنة ١٧٩٧ م ـ اشعاره ، كما انها ـ هى ايضا ـ وضعت كتيبا ضمنته اشعار جيته .

البقاء الحبيس فى ففصه

واتخذ جيته طريقه للعـــودة الى ارض الوطن عبر بازل Basel وشتراسبورج ، حيث قابل تسيمرمان Zimmermann السويسرى الذى كان صديقا للافاتر والذى كان له كتـــاب عن « الوحـدة Einsamkeit » ، وفضـلا عن انه كان يجمع صورا تخطيطية تساعده فى « الفراسة » . واطلع تسيمرمان شاعرنا على صورة تخطيطية «سلوت» لفون شتاين الفايمارية فاعجب جيته تماما بفكرة الصور التخطيطيـــة ، بل دهش لطريقة التى يمكن ان ينعكس بها العالم على هـــذه المرآة المسلية .

وفى دارمشتات ، قابل جيته هيردر وزوجـــه الصغيرة كارولينـــه فلاكسلاند Caroline Flachsland . وواصـــل سفره فى صحبتهما الى فرانكفورت فوصلها فى ٢٤ يوليو ، وسرعان ما احس الشاعر بانه صار ثانية « جبيسا كالببغاء ابواقف على مسنده » فى القفص .

وكان جيته يريد برحلته الاولى الى سويسرا ان يتمتـــع اولا بانطبيعة على طريقة روسو — والى ذلك يشير فى « رسائل فيرتر من سويسرا Werthers Briefe aus der Schweiz » . ولكن هذه الرحلة اتت عليه كذلك بفوائد اخرى ، اذ ذخرت بالاحساساتالشاعرية التى اجترها فى دنيا الجبال السويسرية ليستعملهافيما بعد فى اشعاره الوفيرة التى خرجت الى الحياة على ارض الوطن ، اذ لم يك ثمة داع للاستعجال فى نشرها الآن .

الباخرة تجنح

وتدهورت علاقات جيته مع ليلى ، ولم تعد سارة البتة . هذا فضـــلا عن انه كان على الشاعر ان يفهم بعد اتصـــالاته انطويلة مع العائلة فى اوفنباخ Offenbach انهـــا « ارتطمت بالصخور » فجنحت كالباخرة التى لا يرجى لها حراك ، حتى اذا ما حل الخريف قضى الامر ، وانفصمت كل صلة بين ليلى وشاعرنا اذ خطبت هذه الفتاة لقريب لها فى سنة ١٧٧٦ ، ولكن هذه الخطبة لم تدم اذ اختفى ذلك الرجل بطريقـــة غامضـــة . وفى سنة ١٧٧٨ تزوجت ليلى من المصرفىBankier برنهارت فريدريش Bernhard Friedrich v. Türckheim فون تيركهايم فى شتراسبورج . وصارت الفتـــاة زوجـــة

مستقيمة مخلصة واثبتت ـ بثباتها امام عواصف الثورة التى كانت تتهددها من ناحية عائلتها ـ انها رفيعة النفس ، قوية الارادة ، ماضية العزم .

اما جيته ، فقد كان قطع صلاته بليلى يعنى بالنسبة له ووفقا لتعبيره هو ذاته « ازمة » لم يستطع ان يهدىء نفسه من أثرها الا بصعوبة . وكان جيته ينسب الخطأ الاكبر الى أم ليلى واخيها ـ عشيرتها ـ اما هى ، فقد بقيت احساساته القلبية وعاطفته نحوها على ما كانت عليه نحو محبوبته « السابقة » حتى نهاية حياته .

شتيلا

وفى الوقت ذاته ، جعل جيته من هذا الموضوع رواية جديدة اخرجها للعالم ، حشد فيها ما مر به من تجربة ذاتية . وموضوع الرواية بسيط ، ويتلخص فى ان فرناندو Fernando رجل لطيف ولكنه كان مدمنا على عشق النساء ، حتى انه ترك زوجته الفاضلة سيسليه Cäcilie وابنته لوسى Lucie ليعيش مع شتيلا Stella الجذابة اللعوب التى جعلته ولها فى حبها . وتقع الحرب ، فيذهب اليها فرناندو ، ولكنه عندما يعود منها يجد ان شتيلا وسيسليا اجتمعتا سويا وراحتا تشتركان فى البحث عنه . ولم يقع صراع بين المراتين على الرجل العائد ، بل تتفقان ـ بناء على نصيحة سيسليا ـ على أن يكونا له كليهما .

وهكذا عرض جيته فى « شتيلا » علاقة رجل بامراتين تكملة للصورة التى كان قد قدمها من قبل فى « فيرتر » حيث جعل المراة على علاقةبرجلين . واراد الشاعر أن ينتهى بشتيلا

الى حل لعقدة الرواية يماثل ما انتهى اليه فى فيرتر ، ولكن ذلك بدا غير طبيعى فى المجتمع المسيحى . فلاقت الطبعة الاولى من الرواية ـ التى ظهرت فى برلين فى يناير ١٧٧٦ ـ معارضة قوية شديدة من غالبية الناس ، وان كان البعض القليل قد استقبلها استقبالا حسنا .

واضطر جيته الى تعديل هذا « الانتاج غير الاخلاقى » فى سنة ١٨٠٥ ، نظرا «لعاداتنا» التى تقوم كلية على الزواج المفرد Monogamie فانهى الرواية المعدلة نهاية مؤلمة .

أما الناحية الفنية فى « شتيلا » ، فلم يكن ثمة ما يمكن الاعتراض عليه فيها .

الحب الضائع

صارت حياة الشاعر فى فرانكفورت غير محتملة بعد تقطعته مع ليلى . وخاصة ان حكايتهما صارت حديث المدينة واهتم بها اعداؤه كل الاهتمام ، فعمدوا الى تهويل الامر وتشويه الحقائق فصارت الاشاعات لاذعة ، وراحت تقول انه كثيرا ما كان يتسلل الى بيت ليلى عندما تضيء حجرتها .

وظل جيته ينسكو حبه الضائع بنغم حزين مؤثر فى كل من قصيدتيه « شعور بالخريف Herbstgefühl » و « لذة الحزن Wonne der Wehmut » .

دعوة مقبولة

وتأكد للشاعر أن وضعه يقتضى اجراء تعديل شامل وتغيير كلى عاجل . وجاء الحل ذاته مبكرا عما كان يتوقع . ففى ٣ سبتمبر ١٧٧٥ تسلم الدوق كارل اوجوست مقاليد الحكم

فى البلاد . وفى ٣ اكتوبر احتفل بزواجه من الاميرة لويزه Luise التى كانت ترى جيته « ملاكا » .

ووجه العروسان الدعوة الى جيته ليقيم مدة اطول فى فايمار ، وعلى الفور قبل جيته هذه الدعوة بامتنان . وراح ينتظر المرافق الذى كلفه الداعيان بان يكون فى صحبته الى فايمار . وعلى الرغم من ان الرجل كان فى كارلزروهه الا انه لم يصل الى فرانكفورت لفترة طويلة . وراحت الافكار السوداء تحاصر جيته ، وخشى الا يخرج بشىء من هذه الرحلة فيكون ذلك مدعاة لتسمانة اعدائه وفرحهم . ومن ثم ، قرر ان يسافر الى هيدلبرج Heidelberg تنفيذا لنصيحة ابيه ، ومن ثم يتأهب للقيام برحلة الى ايطاليا . ولكن البريد حمل اليه فى هيدلبرج رسالة تطلب اليه العودة الى فرانكفورت حيث كان فى انتظاره منسدوب الدوق الذى اصطحبه الى فايمار .

الحقبـــة الثـــانية
١٧٧٥ – ١٧٨٨

المدينة الصغيرة

فى الساعات الاولى من يوم ٧ نوفمبر ١٧٧٥ ومع بزوغ الفجر ، وصل جيته الى مدينة فايمار الصغيرة التى تقع على ضفاف نهر الم Ilm ، حيث قدر له ان يقيم البقية الباقية من عمره وان كانت حتى ذلك الوقت لم تك تعنى بالنسبة اليه شيئا خاصا !

وعندما راح يتجول فى المدينة الصغيرة ، الفاها بعيدة تماما من مظاهر العظمة والفخامة . صحيح ان الاميرة انا آماليا Anna Amalia ـ أم الدوق ـ ظلت لأعوام عدة تعمل على النهوض بفايمار والرقى بها ، ولكن ضآلة دخل الدوقية جعل تنفيذ المشروعات يتم وفق برنامج متواضع للغاية .

مركز الفنون

ومن الظواهر التى تميزت بها تلك المدينة الصغيرة اجتماع المرموقين من اهل الفن والادب فيها حيث كانت الاميرة تحب الفنون والآداب ، وتحب ان ترى كبار الشخصيات تلتف حولها حتى صار قصر فيتوم Wittum الذى كانت تعيش فيه مركزا للفنون فى فايمار ، وهكذا راح مجتمع فايمار المختار يضم من حولها « فيلانت Wieland » الذى كان ينشر البريد الالمانى Teutscher Merkur ويمثل العظمة الادبية الالمانية ، وموزويس Musäus شاعر الاساطير ،

وفون آينزيدل v. Einsiedel وفون سيكندروف v. Seckendorf من اساطين موسيقى القاعات ، ثم فون كنيبل K. L. V. Knebel والسيدة فون شتاين von Stein ولويزا فون جيشهاوزن Luise v. Göchhausen وصيفة الشرف التى كانوا يلقبونها بوزنيلدا Thusnelda او « توزيل Thusel » . واخيرا جاء جيته وطغى بشخصيته وعبقريته على كل من عداه ، بما فى ذلك فيلانت الذى كان يكبره كثيرا فى السن .

وقد حمل شاعرنا معه من فرانكفورت العشرين فصلا التى تكون ما يسمى رواية « فاوست الاصلية Urfaust » حيث كانت الاساس الذى بنى عليه هذا العمل الشعرى الكبير . وكان جيته اذا ما قرأ منها قطعة قراها بطريقة مؤثرة تستميل اليه عواطف السامعين ، وتثير فيهم حماسا حقيقيا .

نحو مركز افضل

وكان ذلك يبعث فى نفسه الثقة ، الا انه كان يفكر دائما فى الكيفية التى ينمى بها مركزه لدى الدوق كارل اوجوست ، فقد كان الدوق شابا مرموقا متقد الذكاء ، ثاقب الفكر ، بعيد النظر . وعلى الرغم من انه كان فى مقتبل الشباب (١٨ سنة) الا انه عرف كيف يكتشف المواهب ، وكيف يقدرها حق قدرها وكيف يستغلها بما يعود بالخير على حكومته وبما فيه خير بلاده .

ومما عرف عن الدوق كارل اوجوست ، انه حطم التقاليد الجامدة فى البلاط ، وعاش حياته فى بساطة خالصة ، واعلى كل المظاهر الذاتية الطبيعية بان اطلق نفسه على سجيتها — دونما اهمال لمصالح بلاده او تقليل من رفعة شانه .

وعندما التقى الدوق بشاعرنا جيته ، وجد كارل فيه ذلك الرجل الذى يريد ، فقربه اليه وفضله على كل من عـــداه من هذه اللحظة الاولى . وتذكر الروايات ان الدوق ســأل جيته منذ دخل أرض فايمار ان يوجه اليه الخطاب دون كلفة بان يقول الدوق له "Du" اى انت ، وذلك لانه قرر ان يستبقيه الى جانبه . وهكذا تحولت هذه الزيارة المجردة الى اقامــة دائمة .

وفى ١١ يونيو ١٧٧٦ ، عين الدوق صديقه جيته مستشارا للبلاط وضمه الى المجلس . وقد قابل رجال البلاط هــذا القرار بالاستغراب الشديدوالدهشة التامة ، بينما كان الدوق مقتنعا بضرورة وضع كل امرىء فى المكان المناسب حيثتكون الحاجة ماسة اليه ، أما عدم وضع العباقرة فى مثل هــذا المجلس فأمر اعتبره الدوق خطأ شنيعا فاحشا .

رجل الدفة

وهكذا استحوذ جيته على ثقة الدوق ، ومن ثم قام بعمله الرسمى وكله نشــاط وعزيمــة حتى استطاع ان يخــرص فى سرعة عجيبة كل مقاومة لاعماله الواسعة . ولكن هذا لا يعنى ان الجو صفا له ، فقد بقى الحاسدون يكيدون له ، اذ هالهم ان يكون ابن فرانكفورت دائما إلى جوار الدوق ، وان يشاركه أيضا فى انفعالاته الخاصة . وقد اغضبت « افعاله الوحشية» الكثيرين ، وحتى الدوقة الرزينة تأثرت لها ووقفت منها موقف الغاضب . ومن ناحية اخرى ، نجد كلوبشتوك يبعث بخطاب يحذر فيه جيته مغبة تصرفاته ، ويذكره بان الشعراء معلمو الكبار ، ورد شاعرنا عليه بقصيدة « ملاحة Seefahrt » التى أكد فيهافى فخر انه « رجل الدفة » .

وعلى الرغم من ان جيته كان يعتقد تماما فى قدرته ، الا ان الاوضاع فى هذه الجماعة القريبة حقا بدت له ـ فى البداية ـ صعبة ، وتراءت له العقبات وكأنما لا يمكن التغلب عليها .

ذكريات

وفى هذه الاوضاع ، كان حب ليلى لم يزل حيا بين جوانحه فاذا ما خرج ليتمشى فى حقول تورينجين Thüringen رمزارعها وحقولها ، كان يذكرها ويسترجع تلك « الاوقات الجميلة » التى بدت ـ وسط متاعب حياته الحاضرة ـ كاسعد ما تكونه الايام ، واكثرها راحة وسكينة . وهذا ما يترنم به فى « اغنية امسية الصياد Jagers Abendlied » حيث يقول :

"Mir ist es, denkt' ich nur an dich,
Als in den Mond zu sehn ;
Ein süsser Friede kommt auf mich,
Weiss nicht, wie mir geschehn."

اى :
« انها لى ، افكر فيك فحسب
كما لو كنت ارى فى القمر ،
قطعة حلوة تجىء الى ،
ولا اعرف ، ماذا حدث لى » .

وكان جيته يرنو الى الراحة والخلود اليها ، وكانت رغبته فى ذلك موضع حديثه ايضا فى الصلاة العاطفية او الترانيم القبلية التى يقال لها « اغنية ليل المتجول Wanderers Nachtlied » التى كتبها فى ١٢ فبراير ١٧٧٦ :

"Der du von dem Himmel bist,
Alles Leid und Schmerzen stillest,
Den, der doppelt elend ist,
Doppelt mit Erqickung füllest
Ach, ich bin des Treibens müde !
Was soll all der Schmerz und Lust ?
Süsser Friede, Komm, ach, komm in meine Brust !"

اى :
« انت ، الذى من السماء :
تسكن كل الآلام والاوجاع ،
هو ، الذى يتضاعف شقاءه ،
ملؤه الضعف بالراحة ،
آه ، اننى تعبت من الافعال ،
لماذاكل الالم والسرور ؟
ايها السلام الحلو ،
آه ، تعال الى صدرى : » .

شارلوت فون شتاين

وقد اهدى جينه هذا الشعر القصير ، الذى انتزعه من اعمق اعماق نفسه ، الى السيدة شارلوت فون شتاين Frau Charlotte von Stein التى كانت قد ربطته اليها فى ذلك الوقت صلات صداقة قوية .

وشارلوت هذه هى الابنة الكبرى للمارشال فون شارت v. Schardt وقد جاءت الى الدنيا فى سنة ١٧٤٢ ، وتزوجت فى سنة ١٧٦٢ من فون شتاين كبير مدربى الجياد ، الا أن هذا الزواج لم تكلله السعادة ، بل احست دائما انه امر كئيب تماما . وغالبا ما كان زوجها يقضى الايام الطويلة بعيدا عن البيت

والاسرة ، اذ كان اهتمامه بالجياد والزراعة اكبر من اهتمامه بنفسه وعائلته . ولذلك راح يولى اهتمامه الاكبر لعمله دون زوجته ، مما سبب لها مللا كبيرا وضيقا شديدا . وجعلها تنشد السلوى فى مجتمع من الاصدقاء يكونون اوفى للبشر منهم الى الحيوان او الجماد .

ولم يستطع اولادها السبعة — الذين احاطتهم برعايتها وحنانها وكانت لهم نعم الام الرؤوم — .. لم يستطيعوا ان يعوضوها عن هذه الخسارة . ولذلك نشأت بينها وبين جيته علاقة نفسية واجتماعية وثيقة . صحيح انها لم تكن جميلة ولكنها كانت هيفاء انيقة ، ذات عينين واسعتين ، ووجه دافىء جذاب يبعث على الاهتمام ، وقلب رقيق واحساس مرهف تأسرها الموسيقى ويخلب الشعر منها اللب .

وكانت شارلوت تحب صحبة جيته حبا شديدا ، بل لم تكن لتستطيع عنه بعادا ، حتى تطورت علاقتهما الى ان صارت اتحادا تاما بين روحيهما ؛ فقد استطاعت السيدة فون‌شتاين ان تفهم الشاعر بشكل لم يستطعه احد عداها فى فايمار ، وصارت اكبر الناس اخلاصا له وثقة به ، وراحت تشجعه فى عمله وتعاونه على النهوض بمهام وظيفته العليا . وكان جيته يقابل مشاعرها باحساسات مماثلة ، فكان يفضى « لليدا المحبوبة lieben Lida » باسرار قلبه ، ويشكو اليها ما قد ينغص حياته او يحل به من كيد وشر . وكانت ليدا تشاركه حتى فى دراساته الواسعة عن شبينوتسا واللاتينيتين الجدد .

وكان لشارلوت نفوذ قوى على شعره ، ومن ثم كانت هى ايضا تحس تماما بكل مايقوله من شعر ينفذ الى اعماق اعماقها . وكانت تعرف تماما القيمة الحقيقية لاشعاره الغنائية فقدرتها حق قدرها ، اذ كانت تعتبرها ترجمة خالصة لطبيعة الحياة .

وكانت شارلوت تطلع على ادق العلاقات الشخصية فى حياة جيته مما يعكسه فى رواياته ، بل كان لها ــ دون ادنى شك ــ دورها فى خلق شخصيات روائية عدة فى اعمال جيته الا انها لم تتحدث قط عن هذه العلاقات ولم تنبس ببنت شفة عن هذه الاسرار ، بل كانت تؤمن بانها امور يجب ان تحفظ فى مامن حتى لا تلوكها الالسنة ، ولذلك عمدت الى ان تودعها مكنون قلبها ، وتغلقه عليها تماما .

وثمة فكرة سيطرت على شارلوت ، مؤداها انه اذا كان لكل منها وجيته جسده الا ان كلا منهما يجب ان يكون فحسب واحدا بالنسبة للآخر ، ولذلك نرى كل واحد منهما يغار على الآخر الى حد ما .

وفضلا عن ذلك ، فقد شعرت هذه المراة الوحيدة بالشكر تجاه جيته اذ انه شغل نفسه باولادها ، حتى ان ابنها فريتس Fritz المولود فى سنة ١٧٧٣ كتب يعترف ــ فى ذكرياته التى سجلها فى أيام الشيخوخة ــ بانه يميل الى جيته اكثر من امه ، وانه يدين لشاعرنا بقسط كبير فى كل ماصادفه فى ايام شبابه .

ولعل رواية « آلام الشاب فيرتر » تعطينا فكرة صادقة عن مدى حب جيته للاطفال ، بل ان الصورة التى وردت فى آلام فيرتر انما كان هناك ما يماثلها فى بيت السيدة فون شتاين ، فجيته يبحث عن الراحة بعيدا عن متاعب العمل ، بل المتاعب عامة . ذلك انه لم يكن يشكو مجرد المضايقات التى تصادفه فى اعماله الرسمية ، فهناك ايضا متاعب ناجمة عن كونه مضطر الى أن يهتم بالجميع ويرضى الكل . وصدق فيلانت عندما قال ان جيته « خادم العامة وهو يحمل خطايا العالم » (١) .

---

(1) Goethe ist "das Faktotum und trägt die Sünden der Welt."

مجال واسع الاعمال

وقد تبدو فايمار بلدة صغيرة ، الا انها ـ على بساطتها الخالصة وبعدها عن طرق المرور الرئيسية ـ كانت مجالا واسعا للاعمال امام جيته ، اذ كان عليه أن ينظم ويرتب فيها ويخلق منها شيئا جديدا . فنجد ـ مثلا ـ أن جيته حث على استنبات الحدائق الواسعة المترامية على ضفاف نهر الايم ، حتى صارت هذه البساتين مضرب الامثال حتى يومنا هذا . كذلك ، اشرف جيته على بناء القلعة الجديدة والمبانى الرسمية الاخرى فى فايمار وفى يينا Jena .

وعندما شب حريق ٦مايو ١٧٧٤ ، الذى أكلت نيرانه مسرح المدينة ، لم يعد ثمة مسرح فى البلاد ، وكان علىجيته أن ينفذ رغبة البلاط فى ايجاد وسيلة للتسلية الراقية ، وان يسد ذلك النقص الفنى الادبى بروايات غرامية ومهرجانات تذكرية وما شابه ذلك .

ومن ثم لم يكن الامر مستغربا او فيه مايدعو الى الدهشة ، اذا ما علمنا انه ـ فى خلال السنوات الاولى من حياة جيته فى فايمار ـ لم يستطع أن ينشىء أية اعمال شعرية كبيرة ، فقد استنفد كل طاقاته فى الاعمال الانشائية الواسعة التى قام بها فى البلاد . ولا يعنى هذا بحال ، أن السنوات الاولى من اقامته فى فايمار قد مرت دون عمل ذى اهمية البتة ، اذ استطاع فى هذه الفترة أن يرتفع بأشعاره الغنائية الى القمة . ففى رحلته الى لايبتسيج ـ التى اراد بها أن يكسب لفايمار الفنيةوالممثلة الشهيرة كوروناشريتر Korona Schröter ، وضع قصيدته « البعثة الشعرية Hans Sachsens poetische Sendung لهانز زاكس . وفى الصيف خرجت له الى النور فى غابة تورينجيا بعض القصائد .

وفى سنة ١٧٧٦ وضع أيضا الزولية(١) المعروفة «بروسربينا Proserpina » والمسرحيـــة اللطيفة « Die Geschwister الاخوات » التى جعلها تدور حول فكرة مضادة تماما لرواية نستيلا .

سلطان الشاعر

وثمة حدث هام فى حياة جيته فى هذه الفترة ، وان لم يخصـــه هو مباشرة ــ ذلك أنه نجح فى مسعاه لدى الدوق لتعيين هيردر رئيسا للوعاظ . وباشر هيردر عمله فى كنيسة المدينة فى ٢٠ اكتوبر ١٧٧٦ .

وكان هذا النجاح مبعث رضى فى نفس جيته ، وخاصـــة بعد أن رفضت طلبات اخرى للعمل فى المجتمع الدينى لفايمار . ومن هؤلاء الشاعر كلينجر Klinger من مواطنى جيته وهو مؤلف « زوبعـــة وحـــركة Sturm und Drang » ، وكان قد بلغ اذ ذاك شهرة واســعة فى روســيا ؛ ولنتس Lenz المسكين الذى جاء الى فايمار فى ربيع ١٧٧٦ مثقـلا بالديون ، وكان جيته فى ذلك الوقت ما يزال فى لايبتسيج . ونجح لنتس فى أن يضع قدمه فى المدينة ، ويكسب رضى السيدة فون شتاين التى صارت تغار من شريتر . ولكن حماقاته أفسدت الجو وكانت سببا فى الاطاحة به ليحل محله جيته . وهكذا اختفى لنتس من مجتمع فايمار نهائيـــا فى أول ديسمبر ، وأصيب الشاعر بالجنون الذى لازمه حتى وفاته فى ســنة ١٧٩٢ فى موسكو ــ وهو أشبه بالصعاليك المتسولين . وكان جيته فى فايمار ، حيث كان ينظر اليه كما لو كان شـــوكة فى جنبه او

---

(١) الزولية نوع من التمثيليات يقوم بتمثيلها شخص واحد ، ويقال لها الالمانية واللغات الاوربية Monodrama .

خنجرا مصوبا الى جسده . فلما ذهب لنتس واختفى تماما ، انكب جيته فى عزيمة ماضية على أعماله .

الحب الزوجى

وفى يوم عيد ميلاد الدوقة — ٣٠ يناير ١٧٧٧ — وضع جيته « ليلى Lila » التى ضمنها حديثا شيقا وجهه للدوقة وزوجها عن الحب الزوجى . وفهمت الدوقة لويزا ما رمى اليه جيته من هذه القصيدة فقدرته من أعماق نفسها ، وصارت منذ ذلك الوقت أكبر حام له وأكثر الناس تشجيعا له فى أعماله المتزايدة التى كان يريد بأدائها رفاهة فايمار واعلاء شان البيت الحاكم فيها .

الخطيبة المرقعة

ووضع جيته مسرحية هزليـــة لم تلق نجاحا كبيرا هى الخطيبـــة المرقعـــة Die geflickte Braut » أو « انتصـــار الحســـاسية Der Triumph der Empfindsamkeit حيث تهكم جيته على الحياة العاطفية فى عصره ، وبذلك انتقد أشـــعاره بنفسه . وبلغت مسرحية « انتصار الحساسية » ذروتهـــا عندما وجد الامير العاشـــق الذى كان على جانب كبـــير من الحساسية أن معشوقته لا تفتنه بسحرها المباشر ، بل عن طريق دمية تمثـــل الاميرة وتحتـــوى فى داخلها على روايات زيجفـــارت Siegwart » و « هيلويزه Die neue Heloise الجديدة و « آلام فرتر » .

تسالى البلاط

وقد حار جيته فى بعض الاوقات فى الطريقة التى يوجد بها وسائل التسلية للبلاط ، ومن ثم ببعض أسباب التسلية التى

لم تكن من مستواه الواجب . ومع ذلك يمكن أن نغتفر ذلك اذا ما نظرنا الى ما فيها من قيم أدبية ، وخاصة انها كانت خالية من المبالغات البيزنطية التى غالبا ما تراها فى الاعمال المشابهة . ولذلك كان من حسن حظه أن كان حرا فى عمله وانه كان يعود دائما الى الطبيعة الحية .

وفى نهاية سنة ١٧٧٧ ، قام « برحلة الشتاء فى هارتس Harzreise im Winter » وطبيعى انه خلدها باشعاره . وفى ربيع ١٧٧٨ ، ألف الاغنية البديعة « الى القمر An den Mond التى كانت — كما تقول السيدة فون شتاين — صوتا أصيلا من الطبيعة ، وخاصة فى الصورة الفريدة التى رسمها للقمر :

"Füllest wieder Busch und Thal
Still mit Nebelglanz,
Lösest endlich auch einmal
Meine Seele ganz."

اى :

« تملأ ثانية الشجر والوادى
تماما بلألاء الضباب ،
وتحطم فى النهاية مرة اخرى ايضا
روحى تماما » .

وجاء تشبيهه الاخلاص بالنهر المندفع المتدفق ، صورة شعرية رائعة ، جعلت السيدة فون شتاين تفضلها على ما عداها بل أصبح بالنسبة لها شعرا مقدسا ، كما رحنا نسمع بعد ذلك .

وقد شغل جيته فى مهمة سياسية ، صاحب فيها الدوق فى مايو ١٧٧٨ الى ديساو Dessau حيث زار بيريش

ثم زار برلين ، وبعـــد ذلك عكف على وضع رواية اكبر هى « افيجينى تاوريس Iphiginie auf Tauris » التى اتمها فى نهاية شهر مارس ١٧٧٩ . وعرضت الرواية لاول مـرة فى ١٢ يوليو فى ايترزبورج Ettersburg حيث قام جيتـه بدور اورست Orest ، والدوق بدور بيلاديس Pyladis وكورونا شريتر بالدور الرئيسى . وكانت هذه القطعة تعبيرا عما حصله من دراسات كلاسـيكية ، فقد اتخـذت شكلها الكلاسيكى من التأثير الايطالى فيه (١٧٨٦ — ١٧٨٧) ، ولو أنها جاءت فى اسلوب روايات عصر النهضة — الامر الذى كتب لها الخلود والبقاء الابدى .

اعباء شخصية واعباء الآخرين

وهكذا يتضح لنا من هذه العجالة ، أن جيته لم يقض كل أوقاته فى سنواته الاولى بفايمار فى حياة ماؤها المرح والتسلية ، او فى حياة سهلة خالية من المشاكل ، بل على العكس من ذلك كان مشغولا للغاية وكانت الصعاب تكتنف حياته ، حتى انه صرح بذلك فى خطاب له قال فيه «ما من شخص يدرك ما احمله من أعباء شخصية واعباء الاخرين » . ومع ذلك استطاع أن يثير دهشتنا وعجبنا واعجابنا بكل ذلك الابداع الذى خلقه فى هذه الفترة كغيرها سواء بسواء .

وجدير بنا أن نذكر هنا ان جيته كان — فى هـذه الفترة التى نتناولها بالحديث الان — مسئولا عن هيئة تعمير الطرق ، وعن وزارة الحربية . هذا فضلا عن انه كان عليه ان يقـوم بالكثير من الاعمـــال فى المنـاو Elmenau حيث كان يريد تشغيل مناجمها . واستطاع جيته فى هذه الاثناء ان يكتسب خبرة واسعة بأنواع الصخور التى راح يدرسها بعناية ودقة وفى صبر عظيم .

وما من شك فى ان الدوق قد ادرك تماما اية كفاية نادرة قد كسبها الى صفه عندما ضم جيته الى جانبه . ومن ثم فقد اصاب عندما عينه فى السادس من سبتمبر سنة ١٧٧٩ مستشاره الفعلى الخاص .

ترويح عن النفس

ولكن جيته احس بانه فى امس الحاجة الى تجديد المناظر والترويح عن النفس ، ولذا اقترح على الدوق القيام برحلة الى سويسرا .

وفى الواقع ان جيته لم يكن راغبا فى ان يرمى بنفسه الى احضان الطبيعة مسترسلا لاهوائه ، كما انه لم يكن يريد « العربدة فى بلاد الحرية » ، بل كان كل هدفه ان يركز فكره من ناحية ، كما انه كان يهدف من الناحية الاخرى الى ان يلقن صديقه الامير اصول الحكم ومهام الحاكم من خلال احاديثه عن الطبيعة واجتماعاته بالجادين من الرجال .

وفى اليوم الثانى عشر من سبتمبر ، رحل الدوق وجيته وفيدل فون اتيرزبورج Wedel von Ettersburg مدير ادارة الغابات . وقصدوا فى البداية فرانكفورت حيث زاروا والدى جيته ، وبذلك دخل السرور قلب الام ، فبدت فى احسن حالاتها النفسية ، اما الوالد فكان اكثر هدوءا منها ، ولربما كان ذلك بحكم السن اذ كان قد بلغ السبعين من عمره فعلا(١) .

وانحدر الركب بعد ذلك الى الراين . وتوقفوا عند شباير Speier حيث زاروا الكاتدرائية ، وراوا مجموعة صور

(١) توفى الوالد فى سنة ١٧٨٢ .

الراهب فـــون بيرولدينجن von Beroldingen صـــديق السيدة فون لاروش . ومن هناك اتجه الجمع الى الجنوب ، وساروا على محـاذاة الشاطىء الايسر للراين ، ثم انشطرت جماعتهم فريقين : ذهب أولهما ــ ويضم الدوق وفيدل ــ الى ستراسبورج ، بينما اتخذ جيته طريقا جانبيا الى زيزينهايم ليزور عائلة بريون . ولم يشعر جيته عندئذ بما كان يحس به قبل أربع سنوات ، بل صار فى حالة تمكنه من القيام بهـــذه الزيارة فى سهولة تامة .

فى أماكن الذكريات

وفى مساء اليوم الخامس والعشرين من سبتمبر ، التقى جيته بفريدريكه على عتبـــة بيت القس المعـروف . وكانت فريدريكه ــ كما عهدها دائما ــ طيبة ، تفيض بالعاطفة ، ولكنها كانت فى هذه اللحظة مستعدة لتطورات الامور بروح مستقلة ــ وخاصة بعد أن صهرت حبها فى تلك السنوات الثمانية التى ابتعد فيها الواحد منهما عن الاخر ، وجعلت من ذلك الحب القديم صداقة مخلصة .

أما العائلة ، فقـــد استقبلت « المستشار الخاص » فى احترام ممتزج بشعور الصداقة والود .

وتناول الحديث ذكريات السنوات الاخيرة واحـداثها ، كما جاء ذكر أخبار لنتس التعس الذى أرسله أخـــوه الى روسيا قبيل ذلك بوقت قصير .

ومـــرت فريدريكه مع حبيبها القـــديم على كل أماكن الذكريات ، ولكن جيته ما كان ليبقى أطول من ذلك ، فغادر زيزينهايم فى صبيحة اليوم التالى . وودعته منها القلوب التى

استقبلته ، وصار من الممكن أن يفكر حاليا فى هـــذا الركن المحبوب من العالم وقلبه ينبض بالرضى ــ وذلك نفس ماكتبه فى رسالته الى السيدة فون شتاين .

ولم ير جيته فريدريكه ثانية ، ولكن العلاقة بينهما لم تنته بهذه الزيارة الاخيرة ، بل اتصلت بينهما المكاتبات . ومن ذلك أنه يقول فى يومياته ، كما نراها فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس ســـنة ١٧٨٠ : « رسالة طيبة من ريكجن ب Rieckgen B. » .

ومن زيزينهايم واصل جيته ســيره الى شتراسبورج ، حيث قابل ليلى تيركهايم Lili Türckheim . ووجدها أما صغيرة تعيش فى دعة وسعادة .

ومن ثم اتجــه الى امردينجن Emmerdingen فى بادن Baden كى يزور قبر اخته الحبيبة ، التى كانت قد توفيت فى الثامن من يونيو سنة ١٧٧٧ ، مخلفة ورائها بنتين . وقد مس ذلك جيته فى صميم قلبه ، وتأثر كل التأثر للذكراها التى لازمته طوال رحلته التى ألحق فيها بمجموعة الرحلة ثانية .

الى سويسرا

وذهبت الثـــلة جميعهـــــــا الى بازل حيث زاروا كنوزها الفنية ومتاحفها . ومن هناك ، صعدوا متجهين على طول نهر البيرز Birs من خـــلال وادى مينستر Münster الجميل ، ومن ثم الى بيل Biel ومنها الى برن Bern التى انطبعت صورتها فى خاطره بما قام فيها من مبان شـــهيرة . ونقل جيته صورها بشكل واضح وبايجابية كاملة فى « رسائل

من سويسرا Briefe aus der Schweiz . وازدادت نشوة جيته عندما كان فى ربى برن .

وفى مساء اليوم التاسع من اكتوبر ، رأى الجمع لاول مرة ـ من بيت القس فى لاوتربرونين Lauterbrunnen ـ المساقط الخلابة لشتاوب باخ Staubbach ، وأوحت هذه المناظر الى جيته « بأغنية Gesang der Geister über den Wassern الارواح المرفرفة على الماء » .

وقد ذكر جيته للسيدة فون شتاين انه « لا يصل فكر أو وصف أو تصور الى جمال الاشياء وعظمتها وبديع منظرها ، والمرء ينظر اليها تحت الاضواء فى أوقات النهار المختلفة ومن وجهات النظر المتعددة » .

ولما كان جيته قد حاول أن يوجد توازنا مع ما مر من آلامه ، وفى نفس الوقت يشكل فى داخليته نفسه انطباعات جديدة ، فقد حاول أن يؤثر فى الدوق حتى يقبل قيادته له بكل ثقة .

مزالق سافوى

واهتم الجميع ـ عندما وصلوا الى جنيف ـ ان يزوروا بصفة خاصة كبار الباحثين الطبيعيين ، وقرر جيته أن يحقق للدوق رغبته فى رؤية مزالق Savoyische Gletscherwelt سافوى اذ كان الدوق يرنو اليها بصفة خاصة ، مع أن هذا المشروع كان يبدو فى ذلك الوقت المتأخر من الموسم كمخاطرة كبرى يقومون بها . وفى نوفمبر ، بدأوا فى اختراق وادى شامونيكس Chamounix ودخلوا ميردى جلاس Mer de Glace . وفى السادس من نوفمبر تسلقوا كول دى بالم Col de Balme

(٢٢٠٤ م) كى يصلوا الى مارتينى Martigny فى وادى انرون Rhône . ودرس جيتسه فى دأب تكوين السحب ، كما راح يراقب بريق الثلوج وتبخرها ومن ثم اكتشف اشعاعات الجبال الثلجية . وبعد ذلك صعدوا فى وادى فاليس Wallis الى بريج Brieg والى الفرقة Furka . وبالرغم من تساقط الجليد ، فقد واصلوا السفر الى سان جوتهارت فبلغوها فى ١٣ نوفمبر .

ولما كان الجو قد صار آنذاك على درجة كبيرة من البرودة ، فقد قرروا العودة فورا عبر وادى رويس الى تسيريش ، فوصلوها فى ٢٠ نوفمبر ، حيث كان فى استقبالهم لافاتر الذى بدت عليه علامات القلق . وعلى الرغم من أن جيته كان يتوقع أن يسفر حديث الذوق مع لافاتر عن الكثير من المرح والبهجة ، الا أن كارل اوجوست لم يجد فيه شيئا من ذلك . وزاروا هناك ايضا بودمر الذى كان شيخانى الحادية والثمانين من عمره ، وسلمون جسنر Salomon Gessner وبيبه شولتهس .

وفى سويسرا وضع جيته للموسيقى كايزر ـ الذى كان يعيش عيشة متواضعة ـ فكرة الاوبريت « جيرى وبتلى Jery und Bätely » التى لم يكن العنصر السويسرى الاصيل يظهر فيها الا فى اختيار المكان الذى تدور فيه وقائع الاوبريت والشخصيات التى تمثلها . وارسل جيته بالفعل هذا العمل الى كايزر فى ٢٩ ديسمبر ، وذلك من فرانكفورت . وسافر جيته والدوق من تسيريش الى شافهاوزن Schaffhausen ، ومن هناك الى شتوتجارت Stuttgart حيث اشتركوا فى اليوم الخامس عشر من ديسمبر فى الاحتفال بتوزيع جوائز اكاديمية الدوقية . وهنا راى جيته شيلر وهو يتسلم للمرة الاولى فى

حياته ثلاث جوائز ــ الامر الذى أدى الى أن يقرب بينهما فيما بعد تقاربا عاد بالفائدة الكبرى على كل منهما .

عودة الى العمل

ولم يعد الركب الى فايمار الا فى منتصف يناير سنة ١٧٨٠ ، بعد ان تركت هذه الرحلة الثانية التى قام بها جيته الى سويسرا من التاثير فى نفسه ما يمكن ان يوصف بحق بأنه توازن داخلى وخارجى للعقل . وهكذا عاد الى العمل من جديد بنشاط متجدد ، وانكب اولا وقبل كل شيء على تصريف الاعمال الرسمية . وانعكست على الدوق الى حد كبير الطريقة الجديدة الحازمة التى اتبعها جيته فى هذه الاونة ــ الامر الذى ظهر جليا فى احاديثه التى صارت اكثر جدية وهدوءا .

فى ٣٠ مارس ١٧٨٠ ، بدأ دراساته للقطعة الكلاسيكية الجديدة « تاسو Tasso » ولكنه لم يستطع أن يتمها فى هذه الاونة اذ حالت دون ذلك الاعمال الاخرى التى كان مشغولا بها ، وفى مقدمتها قصيدة من شعر البلاط « الطيور Die Vögel » وهى هزلية لطيفة ، كتبها بأسلوب اريستو فانز Aristophanes ، وملأها بالتلميحات ــ الشخصية والادبية

وفشل جيته كلية فى قطعة أخرى من الشعر الرمزى وهى « الاسرار Die Geheimnisse » ، ذلك انه توسع فيها الى درجة كبيرة . وانتزع منها جيته فيما بعد « تقديس الشاعر Dichterweihe واثبتها فى بداية الطبعة الكلية الاولى لاعماله ، « كاهداء » . وعلى اية حال ، اخذت « سنى تعلم فيلهلم مايستر Wilhelm Meisters Lehrjahre » تنمو قليلا ، ولكن فى عزم وتأكيد . وكان جيته قد بدأ العمل فيها بالفعل منذ سنة ١٧٧٧ .

فترة حرجة

وقد بدأت السنة الجديدة ١٧٨١ بداية غير مرضية ، اذ وصلت العلاقات مع الدوق الى حد كادت ان تنقطع معه ، حيث كان الدوق يواصل استمتاعه باللذات والمباهج في الوقت الذى أراد أن يلعب فيه دورا سياسيا لصالح بروسيا . وما كان من جيته الا أن نصحه بأن يبقى على تماسك القوى وتجمعها من ناحية ، وأن يعطيه فسحة أكبر من الوقت ليتفرغ فيها لنفسه . وكان ميرك يؤيد جيتـــه ، ويرى انه يجب ان يترك فايمار ، ولكن السيدة فون شتاين أقنعته بالبقاء . ومن ثم فكر في التعبير عن شكره لها بأن يصور علاقاته معها ومع ابنها فريتس Fritz ، ويجعـــل منها موضـــــــوعا لرواية رمزية هي « البنور Elpenor » ، ولكنـــه لم يجـد حلا للمشـكلة التي أوجدها في الرواية ، فبقيت الرواية مجرد قطعة غير كاملة .

وفي نفس الوقت ، تصالح جيته مع البلاط ، وقدم له عندئذ « الاجد في بلوندرز فايلرن Das neueste von Plundersweilern » وذلك كنكتة لطيفة بمناسبة عيد الميلاد المجيد .

وفي مايو ١٧٨٢ ، استصـدر جيته قرارا بتعيينه لمهمـة دبلوماسية لدى بلاطات تورينجن الصغيرة ، كمـا عهد اليـــه برئاسة الديوان حيث كان قد رقي الى درجة النبلاء قبل ذلك بوقت قصير .

وفي البداية ، ظهرت فجوة بينه وبين السيدة فون شتاين التي كانت تريد أن تزيد من ربط الشـاعر الى نفسها ، ولم تكن لتسـمح له « بالمباهج الصغيرة » التي كان يتبعها هـــو والدوق .

وكانت الرعشة تعترى جيته عند عرض الاوبريت اللطيفة

« الصيادة Die Fischerin» فى صيف سنة ١٧٨٢ فى حديقة تيفورت Tiefurter Park حيث ابتعدت عنه السيدة فون شتاين بنفسها . ولكن سرعان ما تم الصلح وعاد بينهماالوفاق كلية مما دعا جيته الى ان يقبل ابنها فى بيته ويتولى تعليمه ، وفقا للعادة المتبعة فى ذلك الوقت . وقد وصف فريتس فون شتاين هذه السنوات بالفترة السعيدة من شبابه .

صديق الشدة

وعاد التوافق والانسجام مع الدوق ثانية بعد أن أحس الدوق بالسعادة تغمره لميلاد ولى عهده كارل فريدريش Karl Friedrich (٢ فبراير ١٧٨٣) . وهذا ما يعبر عنه جيته تعبيرا راقيا فى قصيدة « الميناو Ilmenau » .

ووضع جيته بذلك اثرااديبا ينم عن نبل الشاعر وكرماخلاقه تجاه الدوق الذى كان جيته يدين له بالكثير وخاصة أنه كان يجد دائما فيه فى اللحظات الدقيقة صديقه الوفى المخلص . وكان الامير يتميز هو نفسه قبل كل شىء بالكرم وتأييد الحق دائما على خلاف معظم أترابه . واعتاد ــ بما كان له من شخصية قوية ــ ان لا يتبرم من اية ملاحظة يبديها الصرحاء من الناس . وما من شخص يمكن ان يحجب تلك الحقيقة الواضحة : ان كارل أوجست كان أول من داس الفوارق الطبقية فى القرن الثامن عشر ، وقدر الناس حق قدرهم باعمالهم ، لا بوضعهم الاجتماعى . ولقد احسن جيته صنعا عندما بقى هناك فى فايمار اذ لم يكن ليجد راعيا له خيرا من كارل أوجست العظيم . وسرعان ما نتبين هذا بصورة واضحة .

تطلع الى ايطاليا

وكلما طال بجيته الزمن كلما فهم أنه يحتاج قبل كل شيء الى وقت حر لاتمام أعماله الكبرى التى كان قد بداها او أنجزها بطريقة لا ترضيه تماما . وفى السنوات الاخيرة ، لم يحقق شيئا مرموقا من بعد أوبريت « نكتة وحيلة وانتقام Scherz, List und Rache » ، فالى جانب الراحة التى كان فى حاجة اليها ، كانت ثمة دوافع جديدة تنقصه ، اذ انه استنفد كل ما كانت المانيا تستطيع أن تقدمه له ، وأخرج منه أعماله السابقة . كذلك فقد شعر بما ينقص المانيا بصفة خاصة فى ميدان الفنون الجميلة ، فقد كانت فى ذلك الوقت فقيرة من ناحية الكنوز والمتاحف الفنية ، بينما كان هو يريد أن يرى بنفسه أصول الفن ويثقف نفسه بالاعمال الفنية الاصلية . وهكذا زادت لهفته لايطاليا وتطلعه اليها بشكل أكثر مما كان يعتريه فى أيام شبابه ــ الامر الذى عبر فى « مينيون Mignon » تعبيرا رائعا ، حتى صارت الحال معه نوعا من المرض وصار تأجيل الرحلة أكثر من ذلك مستحيلا .

ولقد أراد جيته ــ الى جانب دراسته الاعمال الفنية ــ أن يخرج « افيجينى » فى شكل كلاسيكى جديد ، وأن يتم « تاسو » و « اجمونت » وأن يعدل أوبيرتاته القديمة ، كى يضمها للطبعة الاولى من أعماله (لدى جيشن Göschen فى برلين) . وما كان ليمكنه أن ينجز كل ذلك الا فى ايطاليا وحدها حيث يستطيع أن يجد التركيز والراحة المثالية .

فى كارلزبات

وفى سنة ١٧٨٥ ، عندما كان جيته يستشفى للمرة الاولى فى كارلزبات ويعالج نفسه من داء الحصوة ، فكر فى أن يبدا

الرحلة الايطالية ، ولكنه لم يستطع ذلك . وهكذا مضت سنة أخرى بأكملها ، ثم سنحت له الفرصة لتحقيق رغبته « التي ترعرعت تماما في نفسه » . وفي نهاية شهر يوليو من سنة ١٧٨٦ ، ذهب للمرة الثانية الى كارلزبات بعد أن تخلص من صديقه القديم لافاتر الذي كان قد جاء اليه مع ابنه بغية انحافه بجيتنجن Göttingen . وبقي لافاتر منذ جاء الى فايمار ـ أي قبل ذلك بشهر كامل ـ عند جيته ، ولم يجد جيته في لافاتر أو صحبته ما يبعث على المتعة بعد أن استغرق الرجل في الايمان بالمعجزات وفي التنبؤ بالغيبيات ، بل كان يعتقد كل الاعتقاد أن القديس يوحنا St. Johann سوف يقابله مرة في احد شوارع تسيريش . وخرجوا بعد هذه الزيارة الاولى والاخيرة وقد « تخلصوا الى الابد مما كان بينهم من مشاعر ـ سواء أكانت كراهية أو حبا » .

وبينما كان جيته مهتما دائما بالطبيعة والفهم ، بل كان منجها في تلك الاونة الى ايجاد التأكيد النهائي لهما في الفن القديم أيضا ، كان لافاتر قد أصبح خياليا حالما لا مقياس عنده ولا معيار حتى انه كان من الممكن أن يخدعه صبي ريفي بسيط بشيء من التظاهر بالغيبيات . وجاءت القطيعة بين جيته ولافاتر دليلا قاطعا على اختلاف الاتجاه الذي وقفه كل منهما بالنسبة للاخر ، فقد كان جيته كلاسيكيا بينما كان لافاتر صوفيا متدينا .

ولشد ما وجد جيته المجتمع في كارلزبات مختلفا ! فقد أحاطت به فيها الحياة المتجددة النابضة ، ورأى فيها هدفه ، فضلا عن أنه تلقى فيها الاحساسات والدوافع الجديدة . وفي كارلزبات عقد في حماس محادثات هامة مع هيردر عن الطبعات الكلية وعن العروض المستعمل في « افيجيني » ورأى

فى « الكترا Elektra » كيف أن الاتجاه منعقد على تفضيل « البحر القمبى الطويل Langen Jamben » على السطور القصيرة لروايته ، ومن ثم بدأ فى تعديلها .

اجازة

وعندما أخبر جيته الدوق ببرنامج سفره وسأله الاجازة ، منحه الامير الكريم اياها على الفور . ولكن أحد سواه لم يعلم شيئا قط عن نواياه .

وفى ١٤ اغسطس اصطحب جيته السيدة فون شتاين الى شنيه برج Schneeberg فى طريقها الى بلدها ، وفى اثناء هذه الرحلة انتشت مسامعه بتأكيدها له أن « البهجة قد عاودتها ثانية بسبب حبهما » المتبادل ، وهكذا عاد ليعد العدة فى بطء للرحيل .

المتسلل

وفى ٣ سبتمبر تسلل جيته خفية من كارلزبات ومعه حقيبة السفر ومضى عن طريق ايجر Eger الى « اوبرفالتس Oberpfalz حيث الغابات والمروج ، وحيث لاحظ باهتمام تكون وادى نهر الناب Naab . وفى ريجينز بورج Regensburg اشترى حقيبة لكتبه واصول مؤلفاته العديدة كما زار كوميديا اليسوعيين Die Jesuiten-Komödie ومن ثم ذهب الى مينشين München وهو يخشى تقلبات الجو فيها ، الا أنه الفاه يبشر بأيام بديعة .

وعبر جيته فى عربة البريد بحيرة فالشن Walchensee وكان السرور يملأه اذ يتذكر الوطن فى هذه الاجزاء الحيوية

من المانيا . وفى فالشن استرعت انتباهه احدى عازفات الموسيقى الى « شجرة غرب Ahorn » ، ومن هناك انتقل الى ميتنفالت Mittenwalt فى طريقه الى انسبروك التى بلغها فى ٨ سبتمبر فى جو بديع للغاية . وقد سر جيته جدا من موقعها حتى انه أراد أن تكون الى جانبه فيها السيدة نون شتاين المحبوبة . وعندما بلغ مرتفعات برينر Brenner اختتم القسم الاول من « يوميات رحلاته » التى كان يوجهها الى السيدة صديقته . ومن ثم ، ذهب الى الجنوب حيث شاهد كروم ايطاليا وتينها . ونزل فى الفندق البسيط فى توربولو Torbolo على بحيرة جاردا Gardal وثبتت هناك لوحة تذكارية . وراح يعمل وهو يرى البحيرة التى كان منظرها يعيد الى مخيلته شاطىء تاوريس Tauris فى « افيجينى » فى الجنوب الفنى بالالوان وبذلك اخذ اللمسة الكلاسيكية الاولى ، ومضى الامر على ما يرام .

الجاسوس

وقد ذهب بعد ذلك عبر البحيرة الى مالشيزينه Malcesine فى اقليم جمهورية البندقية Die Republic Venedig حيث ظنوه فى بادىء الامر جاسوسا لحساب الامبراطور . وذهب بعد ذلك الى فيرونا ، ومنها اختار طريق فيشينتسا Vicenza وبادوا Padua ليصل الى البندقية ، حيث ظل يفكر فى ابيه الطيب الذى كان من خير من وصف له ايطاليا والذى كان يعيش ـ هو نفسه ـ قبل ٤٦ سنة فى ذلك السكون المحبب الى نفسه فى مدينة البحيرات الشهيرة . وبعد اقامة تزيد عن اسبوعين ، ترك جيته مدينة البندقية فى ١٤ اكتوبر ١٧٨٦ ، واسرع عبر فيرارا Ferrara وبولونيا Bologna الى روما ، فوصل فى النهاية « بعد

ثلاثين سنة من الرغبة والامل » فى ٢٩ اكتوبر الى « باب الشعب : بورتادل بوبولو Porta del Populo » . وامكنه عندئذ فقط أن يفتح فمه ويخبر أصدقاءه فى الشمال عن « رحلته السرية » ، ويعلن لهم حظه الحسن ، فقد فتح عينيه ليرى المدينة الخالدة .

فى موطن الفن

وشعر جيته بان كل ما رآه حتى ذلك الوقت من أعمال فنية انما كان غير كامل او مجرد تقليد ـ بل غالبا ما كان مشوها . ولقد ابدى اعجابه وهو فى الطريق الى روما بنهضة العمائر فى بالاديو Palladio ، ولكنه الفى نفسه قد غالى فى تقدير قيمتها ، اذ واجه فى روما القدم الحقيقى بكماله وتمامه ، يتمثل فى آلاف الامثلة الحية القائمة على أرضها الاصيلة ، وها هو يتلمسها بنفسه ، ويراها بعينيه .

وما من شك فى انه ايقن انه يمكن للمرء فى روما أن يدرس وان يبحث ، ولم يكن لديه من دليل او مرشد فى ذلك الا الرسام فيلهلم تيشباين Wilhelm Tischbein ، الذى كان يقيم هناك فى روما منذ اربعة اعوام ، صار فيها خبيرا بعالم الفن القديم . وكانت له موهبة عظيمة فى ان يشرح لجيته الامور فى وضوح تام . وكان تيشباين مصور اشخاص معروف تماما ، ومن بين اعماله صورة لجيته مرتديا معطفه الابيض ويرتكن الى عمود متداع .

ولقد عمد جيته منذ كان فى لايبستيج الى ان يخبر بنفسه اصول الفن . ولما كان هو نفسه رساما قديرا ، فقد رأى على الفور بعينيه الثاقبتين فى هذه الصور القديمة ، انها كلها مبنية على فكرة الجمال التى انطلقت من اطار شكلها الخارجى

الذى لم يكن هو نفسه يفهم كيف يفصل بينه وبين المشهد ذاته . ولم يكن عليه أن يتعلم هنا فحسب ، ولكن كان عليه أيضا أن يغير « اسلوبه » الفكرى .

وكان مجيئه الى ايطاليا فرصة ذهبية حقا ، واتته فى الوقت المناسب تماما ، اذ لم تكن مبكرة جدا ولامتأخرة جدا . ولكنه لاحظ شيئا واحدا اكثر مما عداه الا وهو النزعة الروحية فى الاشكال. وبهذا يشعر الذهن بالسكينة والهدوء . ويؤدى هذا « الهدوء » نفسه الى الابداع الذاتى فى أعماله أيضا.

وفى روما اتجه جيته تماما للفن الكلاسيكى ، الذى كان ذا اثرا على شخصيته ، وبدأ اسلوبه الواقعى يتطور ويتضح بحيث سادت لديه الواقعية التقليدية بصفة دائمة ، وراح يبرزها ـ الى حد كبير بشكل يتفق مع وجهة نظره وحده . وظل الامر كذلك حتى حدث فى سن الشيخوخة ذلك التغير المفيد فى هذا الاتجاه .

كذلك استطاع بعض الناس ممن قابلهم جيته فى روما أن يؤثر فيه . وفى مقدمة هؤلاء المصورة انجيليكا كاوفمان Angelika Kaufmann، وكارل فيليب Karl Philip Moritz موريتس الذى شرح له التصوف القديم وقواعد علم العروض الالمانى .

افيجينى الخالدة

ومن ثم ضاعف جيته جهده فى تعديل « افيجينى » بحيث استطاع أن يرسلها فى ١٣ يناير ١٧٨٧ كاملة الى هيردر ليلقى عليها النظرة النهائية .

ولم يتبع جيته اسلوب الاسطورة الاغريقية تماما ، اذ أن الحل الميكانيكى للصراع عن طريق التدخل الالهى لم يكن امرا ممكنا تطبيقه فى المسرح الحديث ، ولذا قرر أن يحدث تغييرا داخليا فى شخصية الممثلة الرئيسية . ففى الموقف المريع الذى توجه فيه الكاهنة افيجينى سكين الضحية نحـــو شقيقها ، نجدها تبحث عن « القوة الادبية فى الروح » التى يمكنها ان تواجه بها الارادة القاســـية التى اتصف بها الملك . وتتغلب افيجينى بقوة الحقيقة المطلقـــة على تلك الوحشية ، ومن ثم يتركها الملك لتعود مع اخيها الى وطنها دون ان يوجد امامها أى عائق .

وكانت الفكرة الاساسية للرواية ، والمحور الذى يقوم عليه خطف أوريست هى القوة الادبية للانوثة الطاهرة ، وهى التى كانت قـــد خففت على الاخ أوريســت Orest وطأة ما عاناه من عذاب آلهة الانتقام فيورى Furien (صـــــوت الضمير) التى كانت تقتص منه . والتزم جيته فى الوزن الذى استعمله لهذه الرواية ، والحـــوار الذى كتبها به أن يكون من النـــوع الكلاسيكى الخالص ، ولكنه أتى فيها بأشخاص تمثل الشخصية الالمانية ، وفى مقدمة هؤلاء افيجينى التى استوحى الكثير من ملامحها من السيدة فون شتاين .

ودهش الناس فى المانيا من هذه الرواية الجـديدة التى كتبها جيتـــه اذ أنها لم تتقيد بالطابع الكلاســيكى تماما ، بل كتبت بطريقة وبأسلوب بعيد كل البعد عما عرفوه من شخصية « جيتس » . ولكن الايام مرت ، وبدت للناس القيمة الحقيقية لرواية افيجينى تاوريس ، وراحوا يعـــدونها اليوم أكمـــل ما كتبه الشاعر بالاسلوب القديم .

ولقد أحسن جيته استغلال اقامته الاولى فى روما فى دراسة الاثار الفنية ومحاولة الاستفادة منها شخصيا ، كذلك وجد فى تاريخ فنكلمان للفن كتابا مثيرا لاهتمامه . وقد أدى به ذلك الى أن يؤمن فى النهاية بأنه (جيته) لم يكن مؤهلا ليكون فنانا عمليا ، بل ليكون شاعرا ، وأن الشعر لا يقل عن الفن فى القيمة قط .

وفى روما ، عرف جيته عن طريق مؤلف الموسيقى كايزر مؤرخ الفن والرسام يوحنا هاينريش ماير Joh. Heinrich Meyer من شتيفا Stäfa فى سويسرا ، فكان موضع تقدير جيته تقديرا عظيما ، وجاء به فى ١٧٩١ الى فايمار أستاذا لمدرسة الرسم فيها .

وبعد أن شهد جيته « الكرنفال » الشهير ، قام برحلة مع تيشباين الى نابولى Napoli حيث رأى وفرة من الكنوز الفنية ، وتمتع برؤية حياة الناس واعمالهم . وصعد بعد ذلك الجبل الى فيزوف Vesuv . وزار بومبى Pompeji حيث كانوا قد بدأوا فى رفع حطامها .

وركب جيته البحر بعد ذلك الى صقلية ، وكان يصحبه فى هذه الرحلة مصور المناظر الطبيعية الشهير كنيب Kniep من هيلدزهايم Hildesheim . وفى أثناء هذه الرحلة العاصفة ، عمل على اتمام « توركواتو تاسو Torquato Tasso » وفى ٢ أبريل ، رست السفينة فى بالرمو Palermo ، ومن ثم بدأت رحلته المنظمة فى الجزيرة الممتعة .

وفى صقلية ، دنت منه « الاغريقية »التى اسست فى هذه الجزيرة مستعمرات عديدة . كذلك تمثل جيته هوميروس

صاحب الالياذة حيا امامه . وعلى هـذه الشواطىء ، أحس جيته بما كان للبحر من أثر عميق عليه . ومن هناك استوحى فكرة مأساة « ناوسيكا Nausikaa » ، ولكنهـا لم تزد عن بضعة مشاهد .

وفى ١٤ مايو ، انتقـل جيته مرة اخـرى من ميسينا Messina الى نابولى ، ومنها واصل سفره فى بداية شهر يونيو من سنة ١٧٨٧ الى روما .

اجازة جديدة

وبالرغم من ذلك فلم يبد عليه الكسل قط ، بل نجـده يعلن أنه لا يزال امامه الكثير للدراسة والعمل . وهكذا طلب من الدوق اجازة جديدة لمدة سنة اخرى ، ولو أدى ذلك الى أن يصبح فى المستقبل مجرد فرد عادى. ولكن كارل اوجوسته ـ الذى خرج ليشارك فى « الزحف العسكرى » الذى قام به البروسيون فى ذلك الوقت على هولنـدا ـ أعطاه اجازة غير محددة الاجل ، واخبره بان هذه الظروف لن تغير شيئا من وضعه فى فايمار أو من عمله معه . ومن ثم ، استطاع جيته أن يستمد مزيدا من الشجاعة لمتابعة أعماله الاخـرى فى اثناء اقامته بايطاليا .

مأساة اجمونت

واتجه فى البـداية ـ حيث كان الصيف حارا ـ الى قصر جندولفو Castell Gondolfo بغية اتمام مأساة « اجمونت » التى كان قد بدأ فى اعدادها فى سنة ١٧٨٢ . ولقـد اعترف الشاعر نفسه بأنه « كان عملا ثقيلا للغاية ، ما كان ليمكن لى ان اتمه قط دون توفر الحرية الملائمة للحياة وراحة البال » .

واستطاع جيته بالفعل فى ١١ أغسطس أن ينهى الى الدوق ـ وقلبه ملؤه الفرحةوالبهجة ـ انه قد أتم هذا العمل . وتشتمل هذه الرواية على مادة ترجع الى أيام عبقريته ونبوغه ، ومن ثم كان لها شكل النثر بصفة عامة مع محاولة تقليد اسلوب شكسبير . وعلى العكس من الرواياتالتاريخية ، فان جيته لم يقدم لناايجمونت كبطل حربى عظيم ، ورب أسرة نرفرف عليها السعادة ، بل قدمه لنا رجلا عاديا شعبيا ، محبا للحياة ولا يحمل لها هما ، ويثق فى الاخرين وثوقا أعمى ، ويسير وهو نائم فوق قمة سطح بيته ذاهبا الى فتاتهكليرشن Klärchen ساعيا بذلك الى حتفه ، فى الوقت الذى يصل فيه الوالى البا Alba الى بروكسل لقمع الثورة والقضاء على التمرد . وقبض عليه بتهمةالخيانة وتقرر اعدامه باعتباره ثائرا . وظهرت له كليرشن وهو نائم فى سجنه بمظهر الحرية وتنتهى المأساة بسيمفونية النصر .

وليست المأساة من الناحية الفنية برائعة كل الروعةولكن مشاهدها تتميز بالجمال الحق . ولقد تفحص شيلر هذه المأساة بعين الناقد الخبير ، وعاب عليها بصفة خاصة تلك النهايات التى تشبه الاوبرا ، وهاجمها كايزر أيضا بكل شدة وعنف . ولم تنل هذه الرواية فى اول عرضها على المسرح الا قليل من الترحيب .

الثمار الاولى

واعجب جيته بوصف سيراسى Serassi لحياة تاسو ووجد لديه منبعا مناسبا يمده بالاساس المتين الذى يمكنه من العودة ثانية لكتابة هذه الرواية .

وفى هذه الفترة التى شعر فيها بلذة العمل ، عاد مرة

اخرى الى « فاوست » التى كانت قد دخلت عالم النسيان ، فاضاف مشهدين لها كى تظهر مع مجموعة اعماله ، ولو كانت ناقصة (١٧٩٠) .

وثمت اشعار غنائية يرجع الفضل فيها الى الصداقة العابرة مع « حسناء ميلان Schöne Mailänderin » (ماجدلينا ريجى Magdalena Riggi) وفكر جيته بالفعل فى تعديل بعض أوبرياته ايضا . وهكذا اثمرت اقامة جيته فى ايطاليا ثمارا وفيرة بشكل غير عادى .

قاب قوسين

وبقلب مثقل انتزع جيته نفسه من روما فى ٢٢ ابريل ١٧٨٨ ليسافر عن طريق فلورنتسا الى ميلانو ، حيث اجتذبته بقوة لوحة « عشاء الرب » التى رسمها ليوناردو دافينتشى Leonardo da Vinci . ومن ميلانو Milano بعث للدوق ينبئه بان عودته صارت قاب قوسين أو أدنى . واصطحب جيته كايزر معه فى عودته عبر سويسرا .

ولما كان لا يريد الاجتماع بلافاتر ، فانه ذهب عن طريق خور Chur الى فراوين فيلت Frauenfeld ، حيث انضمت اليه بيبه شولتهس واسرتها ، وسافروا جميعا فى اليوم الرابع من يونيو الى كونستنتس Constanz .

ويبدو أن بيبه المخلصة الوفية قد دهشت ، اذ جاء فى يومياتها ، انها لاحظت تغير سلوك جيته ، فقد عرفته قبل ذلك الصديق القديم للافاتر ، بل كان فى تسريش دائم النكتة ، يضحك فى مرح مع أولادها ، ولكنه أصبح عندما قابلته فى هذه المرة مثال العالم الرزين الذى تحيط به ظلال من الهدوء

الكلاسيكى البعيد عن كل حماس . ولكن التوافق ظل كما هو دون ان يعتريه تغير قط .

الفن والشعر فحسب

ووصل جيته الى فايمار فى ١٨ يونيو ١٧٨٨ ، فشعر معارفه على الفور بالتغير الذى طرأ عليه ، واتضح هذا التغير عندما اقدم على تغيير مجرى حياته فى فايمار ، فقد عمد فى البداية الى ان يتخلص من الاعمال السياسية بغية ان يتفرغ كلية للفن والشعر ، ولم يحتفظ لنفسه الا بالاشراف على المؤسسات العلمية فى البلاد . وانسحب جيته شيئا فشيئا بعيدا عن هيردر وغيره من الاصدقاء ، كما انه قطع نهائيا كل علاقاته مع السيدة فون شتاين التى ما كانت لتتعزى قط عن ذلك بل اضطرت لان تعود ثانية الى حياتها « الموحشة » . وهكذا انتهت هذه العلاقة التى لم تكن طبيعيه فى ذاتها .

الاستقرار المنزلى

وفى نفس السن التى كان ابوه قد أسس فيها عائلته كان جيته يرنو أيضا الى الاستقرار ، اذ انه أدرك كلية أنه لن يستطيع بعد ذلك مجابهة الاوضاع القديمة القائمة فى مجتمع فايمار .

وبعد حوالى شهر من عودته ، قابل كريستيانه فولبيوس Christiane Vulpius وكانت كريستيانه تتجول فى الحديقة عندما رآها جيته ، فأيقظت فى نفسه الاهتمام ، فقد كانت شابة فى الرابعة والعشرين من عمرها ، تتميز بلونها الخمرى الجذاب وحديثها اللطيف الساحر . وكانت تبيع الزهور لتكسب عيشها اليومى اذ كان ابوها موظفا يعانى

حياة مادية عسرة . وعرض عليها جيته ان ترافقه الى منزله ويعيشا سويا ، وذلك على الرغم من ان كريستيانه لم تكن ذات مواهب ذهنية البتة ، وان كانت تتميز بالفضائل العائلية الى حد بعيد .

وتطورت هذه العلاقة بينهما ، فأحبت الفتاة « المستشار الخاص » الذى سرعان ما وجد فى دوام هذه العلاقة فائدة كبرى ومزايا عديدة ، حيث هيأت له بيتا مريحا ، وجعلت من الميسور له ان يعيش عيشة طيبة بنفقات زهيدة نوعا ما . أما اخوها الكاتب الروائى كر . ا. فوليبوس Chr. A. Vulpius فقد اصبح فيما بعد أعظم مساعد لجيته فى المسرح .

وعندما انجبت « الصغيرة المحبوبة » كريستيانه ابنه اوجوست August فى ٢٥ ديسمبر ١٧٨٩ ، اعتبر جيته ان حظه قد اكتمل . ولكن الشائعات فى مجتمع فايمار حاولت كل ما فى وسعها للتفريق بينه وبين عشيرته بعد أن فتح جيته بيته لاخت كريستيانه وعمتها ، وباءت هذه المحاولات كلها بالفشل تماما ، ولم تستطع أن تؤدى الى شىء اللهم الا فى ابعاد جيته عن المجتمع حتى انه لم يعد يظهر فى ذلك الوقت فى المجتمع الا نادرا . ولكن ذلك عاد عليه بفائدة اكبر اذ توفر لديه وقت أطول كان يستغله فى الاعمال النافعة . وفى الوقت ذاته كانت زوجته النبيلة تعمل جاهدة على اعادته ثانية لحياة المجتمع التى كانت تملأ بعض وقته . ولما أصدر « المراثى الرومانية Römische Elegien » التى صاغها وصورها لنا فى الوان زاهية رأينا فيها ما كان يحيط به من سعادة حقة .

تاسو

وفى ١٧٨٩ ، اتم جيته « تاسو » التى كتبها ليصور فيها تاريخ حياة الشاعر الايطالى . ولكن احداثها بدت كما

لو كانت تقع فى القرن الثامن عشر بدلا من القرن السادس عشر ، كما أن الصورة العامة التى رسمها لبلاط الدوقية فى فيرارا لم تكن الا نقلا عن الاوضاع السائدة فى فايمار . ويذكرنا مصير تاسو بلنتس التعس . ولا يسمح لنا المجال الآن بالدخول فى تفصيل ما احتوت عليه قصة تاسو ، ونكتفى بأن نقول ان « تاسو » جيته لا تقل قوة عن « افيجينى » اذ تضاهيها فى قيمتها بشكل عام ، بل تتميز عنها بجزل عباراتها .

ولم يتم جيته اوبريته « الاخدان غير الاكفاء Die Ungleichen Hausgenossen » اذ بدا موضوعها للشاعر ابسط مما ينبغى .

وفى سنة ١٧٩٠ كرس جيته نفسه مرة ثانية للعلوم الطبيعية ، وفضلها على ما عداها . ولكنه اضطر فى ربيع سنة ١٧٩٠ الى ترك حياة العزلة ، اذ تسلم أمرا من كارل اوجوست بالسفر الى البندقية ليقابل الدوقة أنا آماليا التى كانت فى ايطاليا فى ذلك الوقت .

فى ايطاليا مرة أخرى

وهكذا يمم جيته وجهه شطر البندقية عن طريق التيرول Tirol وذلك قبيل عيد الفصح . وفى هذه المدينة الساحرة انتظر جيته الدوقة . وعلى الرغم من انه كان يجد فى العيش فى ايطاليا ــ قبل ذلك بعامين اثنين فقط ــ سرورا عظيما ، لدرجة انه لم يكن ليتركها الا بصعوبة ، الا انه احس فى هذه المرة بضيق شديد اذ ألفى نفسه يعيش فى ظروف مملة تعسة هى تلك التى عبر عنها فى « Venetianischen Epigrammen حكم البندقية » والتى تتلخص فى انه كان مشتاقا الى وطنه وزوجه وولده .

واخيرا وصلت الدوقة فاصطحبها عن طـــريق فيرونا Verona وبرنر وانسبروك واوجزبورج Augsburg الى فايمار .

ولكن اقامة الشاعر فيها لم تطل فى تلك المرة اذ ذهب اندوق الى سيليزيا فى الخدمـة البروسية للجيش ، وأراد الدوق ان يكون جيته فى صحبته . ومن ثم سافر جيته فى آخر يوليو الى بريزلاو Breslau . ولم يستفد من الشهرين اللذين اقامهما فى الخارج الا شذرات قليلة من الثقافة ، ولكنه استغلها فى رحـــلاته الواسعة فى جبـــال ريزنجيبيرجه Riesengebirge وفى ولاية جلاتس Glatz فضلا عن رحلته التى قام بها فى شـــهر سبتمبر التـــالى الى كراكاو Krakau وفيليتشـــكا Wieliczka وتشنستوشـــاو Czenstochau حيث استفاد خبرات واسعة وحصل على معارف متنوعة .

مسرح فايمار النموذجى

وبعد ان عاد الى فايمار ثانية ، سبب له مسرح البلاط الذى افتتح فى سنة ١٧٩١ متاعب جديدة ، فقد كان عليه ان يصرف فيه كل الامور الادارية تقريبا ، وقام بواجبه فعلا فى أصرار رغم ما استلزمه ذلك من تضحيات . ولكن يكفيه فخرا أن صار مسرح فايمار ـ تحت ادارته ـ مسرحا نموذجيا ، يخطى على شهرة مسارح هامبورج Hamburg ومانهـايم Mannheim . وقد اصر جيته قبل كل شىء على التمثيـل الطبيعى المعبر ، فضلا عن اصراره على الالقاء الصحيح . وتقن جيته بنفسه الممثلين كيف ينطقون الشعر ، واعدهم للتمثيل الجماعى الممتاز . وحاول ان يثقف الناس انفسهم بان يجلب اليهم الفرق المسرحيـــة الزائرة . ولكن كان ثمت نقص فى

المسرحيات الخفيفة الجيدة فى ذلك الوقت ، حتى ان جيته كان يضطر من آن لآخر الى ان يؤلف للمسرح ما يسد به النقص عندما تمس الحاجة الى ذلك . وكانت المحاولة الاولى التى قام بها فى هذا السبيل نقل « جروسكوفتا Grosskophta »عن الاصل الفرنسى ، الا انها لم تجد استجابة كافيـــــة لدى الجماهير الذين سخفوا فكرة الاقتباس عن هذه القصـــــة الفرنسية الضعيفة غـــير المشهورة .

بشاعة الحرب

وفى ذلك الوقت ، كانت الثورة الفرنسية تلقى ظلالها قملا وسرعان ما اضطرت المانيا الى الدخول فى مجرى الاحداث . ففى شهر ابريل من سنة ١٧٩٢ ، أعلنت فرنسا الحرب على الامبراطور ، فقبل الحرب بعد أن تحالف مع بروسيا . وعندما خرج كارل اوجوست الى الميدان ، كان على جيته أن يتبعه .

وهكذا سافر جيتـــه فى نهاية اغسطس الى ماينتس ، ومنها الى بنجن Bingen ومنها على طول نهر موزيل Mosel ليصل الى مقاطعة شمبانيا Champagne حيث سنحت له الفرصة لرؤية بشاعة الحرب بكل درجاتها وان يخبر الاحوال فى اثنائها . وفى ٢٠ سبتمبر رأى الرصاص المتدفق من المدافع والذى ادى الى تقهقر الحلفاء فى داخل البلاد حيث فاجأهم سقوط الامطار بغزارة . وعندئذ سارع جيته بعربة الدوق سالكا طرقا ملتوية حتى بلغ تريير Trier ، ومنها ركب البحر الى كوبلنتس Koblenz ، ومن ثم توجه الى بمبلفورت Pempelfort الى يعقـــوبى Jacobi والى مينســـــتر Münster ثم الى الامـــيرة جاليتسن Fürstin Gallitzin ولم يعد جيته الى فايمار الا فى أواسط ديسمبر .

وكان يكره الثورة التى افزعته فى هدوئه وأثارته من اعماق

روحه اذ انه ادرك تماما ان وراء الشعارات النبيلة التى تقول بها تلك الثورة ، ستكون أعمال تضليلية اجرامية . وهكذا وضع فى سنة ١٧٩٣ تمثيلية من فصل واحد أسماها « المواطن العام Der Bürgergeneral » ضد تصنع البطولة ، ولكنها لم تلق النجاح المنشود اذ بدت الاحداث الخطيرة وقد عولجت ببساطة بالغة ، فضلا عن ان التمثيلية كان ينقصها روح الفكاهة .

وسيطر على جيته شعور بالنفور والاشمئزاز الشديد ، وذلك عندما حضر حصار مانِنتس فى صيف سنة ١٧٩٣ اذ بدت له كل ساعة أمضاها هناك حافلة بالكوارث .

البيت الهادىء

ولذلك فقد احس بالسعادة تنبعث من اعماقه اذ استطاع ان يعود ثانية الى وطنه والى دراساته بعد استسلام القلعة فى ٢٣ يوليو ١٧٩٣ .

وكان بيت جيته قد تم بناؤه فى ذلك الوقت فى فراون بلان Frauenplan الذى يسمى اليوم ميدان جيته Goethplatz ومن ثم انتقل الشاعر اليه .

الثعلب الطاهر

وكان عمله الكبير التالى هو اتمام ذلك الشعر الحيوانى « الثعلب الطاهر Reineke Fuchs » الذى جعله من النوع المسدس الاوتاد . وفى هذه القطعة اوضح جيته الحيل الخبيثة للثعلب الماكر المخاتل القادر بحيث جاءت فى الواقع مجرد صورة للعالم «كما هو» . ويعتبر هذا الشعر الرائع الذى يعتز به الشعب الالمانى أفضل ما كتبه جيته وأفضل ما كتب من بين الاساطير والملاحم القديمة التى تحكى قصص الحيوان كلها .

روايات وقصص

وبدا جيته فى سنة ١٧٩٣ فى وضع روايته السياسية « المضطربون Die Aufgeregten » التى لم يتمها والتى تمت على يد ف . فون شتنجلن Stenglin لعرضها فى مسرح برلين .

وبدا الشاعر ايضا ماساة « الفتاة من اوبركيرش Das Mädchen von Oberkirch » ولكنه لم يتمها . كذلك لم يوفق جيته كليا فى قصصه التعليمية « رحلات ابناءميجابراتسون Reisen des Söhne Megaprazons » وفى «محادثات مع المهاجرين الالمان Unterhaltungen deutscher Ausgewanderter» التى اتم سبع قصص منها فحسب . وبالرغم مما فيها من جمال ، فقد كادت ان تدخل اليوم عالم النسيان الهم الاحكاية ليلى الشهيرة (اسطورةالثعبان الاخضر Märchen von der grünen Schlange) وهى تلك الاسطورة الرائعة التى انكب المفسرون والشراح على محاولة ارجاع ما تتضمنه من اشارات سياسية واحاديث شخصية الى أصولها . وعلى اية حال ، فقد اجمع الرأى منهم على انها نموذج فريد من نوعه ، وما من شك فى أن جيته لم ينتج فى السنوات الاولى من ايام الثورة اى عمل هام عدا هذه القصة الحيوانية سالفة الذكر .

الايام القلقة

واعقب هذا النشاط الضخم الذى بذله جيته فىالسنوات ما بين سنة ١٧٨٦ وسنة ١٧٨٩ ، فترة طويلة من العمل المتقطع ، اذ كان جيته يشكو فى هذه الفترة من هبوط ينتاب طاقته الشعرية من آن الى آخر ، بل انه اعتقد أن وعاء الشعر

الفنانى لديه قد بدأ ينضج مع مرور تلك الايام القلقة ، ومع تقدم كتاباته فى العلوم الطبيعية التى كانت تستغرق منه فى الواقع وقتا طويلا . وبدت مرونته تتناقص ، وهذا امر عام نلاحظه لدى كل العباقرة فى اوقات معينة .

ولم تكن الفترة الاخيرة من حياته الا فترة محاولات واعداد كان يجدر ان تتبعها فترة ثانية من الابداع والخلق . وهذا ما ادى اليه الاتصال المثمر الذى تم بين جيته وشيلر .

الحقبة الثالثة:

١٧٨٨ — ١٨٢٠

جيته وشيلر

احس شيلر تماما بمرارة الحياة غير المستقرة الدائبة الترحال وذلك منذ هربه من شتوتجارت فى سنة ١٧٨٢ . وفى الواقع انه لم تسنح له حتى ذلك الوقت فرصة مناسبة للحصول على عمل ثابت يمكنه من الزواج من شارلوت فون لنجه فيلت Charlotte v. Lengefeld . وتحولت عينا حماته المستقبلة الى مدينة فايمار ، كما لو كانت واثقة من انها ستجد فيها الوظيفة المنشودة .

واعتمد الجميع فى ذلك على جيته ، وحاولوا ان يتصلوا به عن طريق السيدة فون شتاين .

وفى ٩ سبتمبر ١٧٨٨ ، جاء جيته مع السيدة فون شتاين التى كانت لاتزال على علاقة طيبة معه ، وجاءت مع فون شتاين ايضا اختها وزوجة هيردر .. جاءوا جميعا للسيدة فون لنجه فيلت فى رودولشتات Rudolstadt حيث انعقد الاجتماع مع شيلر .

اجتماع شاعرى المانيا

ولم يتحمس شيلر تماما نحو جيته الذى كان قد عاد للتو من ايطاليا حيث انغمس تماما فى الآراء العتيقة . ولذا اعتبره ، بالرغم من كل المزايا الروحية ، جافا باردا مترددا ولو انه قد قدر لهما ان يتقاربا ــ الواحد منهما الى الآخر ــ اكثر عن ذى قبل ، لا تضح لهما ان طباع كل منهما كانت تبدو

مختلفة فى اساسها . وكان شيلر يرى جيته اشبه بأنطونيو الى حد كبير . وبدا شيلر ــ وهو الذى يصغر جيتــــه بعشر سنوات ــ كالعاصفة عندما راح يتحـدث عن « الناهبـــون Räuber » و « فيســـكو Fiesco » . وفى النهاية نفذ بما له من دراسة فى التاريخ والفلسفة الى الروايات التى تصطبغ بالصبغة التاريخية . واحس شيلر ــ وهو الشاعر ــ بان جيته اساء فهمه ، ولكنه احس فى الوقت ذاته بان جيته يعتقد انه (شيلر) ليس بالروائى وانما المؤرخ . وبعد هذا الاجتماع قام جيته بالخطوات اللازمة لتوظيفه ، وذلك بناء على توصية السيدة فون شتاين . ووجه مذكرة الى الدوق أوصى فيها بكاتب « ثورة هولندا Abfalls der Niederlande » كى يعين أستاذا للتاريخ فى جامعة يينا ، ووافق الدوق على ذلك .

وفى ٢٦ مايو سنة ١٧٨٩ ، بدأ شيلر بالفعل محاضراته العلمية التى تدفق الطلبة عليها بحماس كبير ، وبهذا أمكنـــه الوصول الى غرضه النالى أيضا . ولم يحاول شيلر ان يهتم بأنانية جيته التى احس بها ، اذ رأى انه صار « الآن يسير فى طريقه المنشود » . وكان مركز كل منهما مختلفا ، وبدا انجـاهاهما كذلك ، ومن ثم شـكا شـيلر لكيرنر Körner صديق والديه فى دريزدن بكلمات متقدة صادرة عن قلبه فعلا ، فقال ان كل علاقة مع هذا « الانانى » لا تقابل من جانبه الا بالصبر . وكانت اقوال العامة ــ أن جيته واقعى وشيلر مثالى ــ قد شاعت ، وبدأت تسيطر فى الغـالب على كل من الشاعرين الكبيرين ، بل وتبعد كل منهما عن الآخر .

تقدير وتقارب وتحالف

واسفرت اقامة جيته مع كانت Kant وزيارة جيته

تكيرنر فى طريق عودته من المعسكر فى سنة ١٧٩٠ ـ اسفرت عن مادة طيبة للمناقشات بين جيته وشيلر فى يينا . واذا كانت هذه المناقشة لم تصل بهما الى تفاهم الا انه من الممكن ان نقول انهما بدآ الآن يقدران احدهما الآخر ، ويشعران انه ربما كان الراحد منهما على حق فى آرائه ، وانه قد يستطيع ان يصل الى هدفه . وكان جيته متفوقا على شيلر فى معارف العلوم الطبيعية والفن التشكيلى ، بينما كان شيلر عارفا بالتاريخ والفلسفة وعلم الجمال ، فضلا عن انه كان نظريا يرتب النظريات ويبحث فيها . وبينما كان الاول يتبع الشوء ، فان الاخير كان يبحث فى الاشياء النامية . وكان هذا واضحا ، الا أن التوافق بدا كما لو كان قد طرح جانبا ، وذلك وفقا لما عبر عنه شيلر فى مقاله عن « الجمال Anmut und Würde والجلال » حيث قال انه ان لم تكن هنالك غاية مشتركة توحدهما فهذه الغاية هى نهاية مآربهما . ولكن حدث عند هذه النقطة ان انكسر الجليد ايضا . وفى ذلك يقول جيته انه بعد اجتماع جمعية العلوم الطبيعية فى يينا فى شهر يونيو سنة ١٧٩٤ ، ترك الشاعران الاجتماع ، ودخلوا فى مناقشة عن النباتات ـ وهو بحث جيته المفضل . وبيضع خطوط بسيطة رسم جيته نباتا نموذجيا ، فما كان من شيلر الا ان رد بأن ذلك قد يكون مجرد رأى ولكنه ليس صادرا عن تجربة .

وجمعت هذه المناقشة كلا الطرفين ، وجعلتهما يفهمان ان كليهما ـ فى المعنى الحرفى ـ لم يكن بعيدا كل البعد فى وجهات نظره عن الآخر ، ومن ثم ذهب جيته الى منزل شيلر حيث اتما المناقشة ، وتمهد طريق الصداقة والتحالف الذى بقى فريدا فى تاريخ الادب والذى صحبته اكبر الآثار النافعة .

ربيع جديد

وأعجب جيته بشيلر ، وبدأ بتحالفهما « ربيع جديد »

وقد تعاون جيته بنشاط مع شيلر فى ابحاثه عن «الزمن» ، وقدم له أيضا المراثى الرومانية ثم مناقشات مع المهاجرين الالمان التى كان يلمح فيها عن كتاب ديكاميرونه Decamerone واخيرا قدم له تلك الترجمة التى كان يتباهى بها للغاية للسيرة التى كتبها بنفسه بنفينوتو شيللينى Benvenuto Cellini الصائغ النحات الفلورنتسى (١٥٠٠ ــ ١٥٧٠) . وفى صيف سنة ١٧٩٥ ، رتب فى كارلزبات شعر الحكمة الذى كتبه فى البندقية ، لينشره فى مجلة شيلر الفنية فى سنة ١٧٩٦ .

نقد المنافقين والشواذ

ولما لم تستطع مجلة شيلر ان تحقق النجاح المنشود ، فقد قرر أن يحجبها على الفور عن الجماهير التى لم تتجاوب معها . ومن ثم اقترح جيته على صديقه تأليف ابيات من الشعر عن كل الدوريات من الصحف والمجلات والاعمال المماثلة ، تقوم على النقد الشديد الموجه للمنافقين واولئك الذين عدموا الذوق . وقبل شيلر هذا الاقتراح ، ووضعا حوالى الف نكتة شعرية عن الاشخاص والميول والشذوذ فى الادب .

وفى اكتوبر سنة ١٧٩٦ جمع جيته وشيلر ٤١٤ قطعة كعدد والمن مجلته الفنية لينشرها شيلر فى سنة ١٧٩٧ . وقد سبب بذلك ضجة شديدة فى المانيا ، كما ان كثيرا من الكتاب راحوا ينهجون منهجه ، وان اختلفت كتاباتهم باختلاف قدرتهم الشعرية . ولكن واحدا منهم لم يستطع ان يمحو ذلك الاثر القوى لاقوال جيته وشيلر . وقد ضمت هذه المجموعة السنوية المذكورة احدث مراثى جيته وهى « Alexis und Dora » الكسيس ودورا » التى يتحدث فيها عن شاب يزمع الذهاب فى رحلة بحرية طويلة ، وكان على علاقة عاطفية ترجع لسنوات بإحدى الفتيات .

وظهرت نتائج التحالف بين شيلر وجيته ، اذ نشجع كلاهما الآخر على الانتاج الشعرى . وبمساعدة شيلر المشجعة بدأ جيته ثانية فى « فاوست » وانتهى منها فى صيف سنة ١٧٩٦ .

سنى تعلم فيلهلم مايستر

ووضع رواية « Wilhelm Meisters Lehrjahre سنى تعلم فيلهلم مايستر » التى صارت نموذجا يحتذيه الكتاب بل كانت فى الحقيقة موضع تقليد الرومانتيكيين . وفى هذه الرواية نجد فيلهلم ابن تاجر غنى ، يمر بعدة مواقف مختلفة فى الحياة ، وتضمه اوساط متنوعة من اصحاب الحرف والمهن المختلفة ، فيتاثر بذلك ويشفى تماما مما كان يتوهمه من أنه لا يصلح الا لان يكون ممثلا . ويتسلق فى اثناء رحلته العملية المليئة بالمخاطر سلم الحياة درجة درجة من اسفل الاوساط الى اعلاها ، ويصل فى النهاية الى صحبة المضحكين فى دوائر النبلاء ، ثم يرتقى سلك الرجال « الكاملين » الى درجة يحسد عليها فى فن التمتع بالحياة وفى سبل السلوك . ومن المؤسف انه كان بطلا سلبيا ممن يتحتم أن تقوده النساء حتى يصل بعد سنوات طوال من التعلم الى الاستاذية .

ولقد زين جيته الرواية « بصور من حياته » وانتقد بشدة هواية الفنون . ومع ذلك ، فلبعض اجزائها قيمة خالدة ، وخاصة مينيون والبنت المخطوفة من الجنوب التى — يبدو انه قصد بها صورة رمزية لمهمة الانسان الخالدة . وفى ذلك يقول جيته فى اغنيته « الى مينيون An Mignon » :

"Über Thal und Fluss getragen,
Ziehet rein der Sonne Wagen.

Ach, sie regt in ihrem Lauf
So wie deine meine Schmerzen
Tief im Herzen
Immer morgens wieder auf."

اى :

« حملت عبر الوادى والنهر
لتجر عربة الشمس فى صفاء
آه ، فانها تثير دائما فى الصباح فى أثناء جريها

ـ كما يحدث لك ـ احزانى
العميقة فى القلب » .

هرمان ودوروتيه

وفى خريف سنة ١٧٩٦ الحافلة بالاحداث بدأ جيتـــه ملحمة جديدة من الشعر الحماسى هى « هرمان ودوروتيـــه كان قد نشر قبلهـــا مرثية » Herman und Dorothea التى بنفس العنوان لتكون نوعا من الاعلان والدعاية عنها .

ولقد كانت للمناقشات التى دارت بينه وبين شيلر عن الخصائص المميزة لانواع النظم المختلفة ، وعن انشـــودة « الكسيس ودورا » و « لويزه » لمؤلفها فوسن Vossen اثرها فى انتاج هذه الملحمة .

وفى هذه الآونة بالذات او قبل ذلك بقليل ، كان جيتـــه قد وجد المادة لهذه المنظومة الحماسية الكبيرة ، مما قد لايتاح للمرء أن يجدها مرتين فى حياته ، ومن ثم فقد قرر ان ينكب على العمل فيها فورا .

وكانت القصة قصة فتاة بروتستنتية من سالتسبورج ، اضطرت الى أن ترحل عن وطنها واهلها لتمسكها بعقيدتها .

وسارت الفتاة خلال اقليم اوتينج Ottling حيث تعرفت بشاب من الطبقة المتوسطة . واخذ الشاب هذه الفتاةالشريفة المذهرة الى منزل ابيهلتعمل كوصيفة خادمة ، ثم اتخذها زوجة له على غير ارادة ابيه .

ومن هذه المادة البسيطة كل البساطة صاغ جيته ملحمته الحماسية الذائعة الصيت والتى تعد نموذجا فريدا من نوعه بل تعتبر كاللؤلؤة بين درر الادب الالمانى كلها . صحيح انه قد دلق بالقصة كثير من الشوائب ، وكان عليه أن يستبعد منها حكاية المهاجرة هذه ، الا انها قدمت له على الاقل الخيط الذى استطاع هو ان ينسج منه روايته . ولذلك تجده قد اختار لها جوا تاريخيا ضخما هو الثورة الفرنسية ، التى كانت امواجها تتلاطم فى سنة ١٧٩٦ على مقربة كافية منه عند شواطىء تورينجن . وفى هذا « الوعاء الهام » كون جيته احسن قصة قصيرة كتبها عن الحب سواء من ناحية الشكل او المضمون ، فان هرمان ــ الابن الخجول لصاحب نزل صغير فى بلدة المانية صغيرة من تلك البلدان المنتشرة على الضفةاليمنى لنهر الراين ــ يتعرف بفتاة تخرج فى طريقها هاربة من وجه الثورة . ويجد هرمان هذه الفتاة ، ويحضرها معه للبيت فى نفس الليلة .

ولقد رفع جيته من شأن هذه القصة البسيطة بما اضفاه على شخصياتها من دراسة نفسانية تحليلية ، وما اضفاه من وصف رائع للريف والناس ، فضلا عن استخدامه اوزان الشعر الكلاسيكى والعناوين الفنية التى ما كانت الا لتعرقل نشر هذه الملحمة على نطاق واسع باعتبارها كتابا شعبيا .

وكانت هذه القصة منذ ظهورها لأول مرة فى سنة ١٧٩٧ مرضع اعجاب شديد من الناس ، وراحت شهرتها تزداد

وتنمو مع الايام ، بل يمكن ان نعتبرها احسن اشعار جيته عامة من ناحية الوزن فضلا عن انها اكثرها جمالا ووطنية .

مشروع ملحمة جديدة

وحفزه النجاح الكبير الذى لقيته هذه القصة على وضع ملحمة شعرية جديدة « الصيد Die Jagd » وهى التى لم يتمها فى ذلك الوقت ، بل لم يكتب لها ان ترى النور الا كأقصوصة فى سنة ١٨٢٧ .

وكان للمنافسة الشريفة التى دارت بينه وبين شيلر ردحا طويلا من الزمن ، اثرها فى خلق مجموعة من القصص الشعرية تعد بحق من احسن ما انتجاه ، وصارت سنة ١٧٩٧ بالنسبة له سنة القصص الشعرى ، ومن أهم القصص التى انتجها فى تلك السنة « الباحث عن الكنز Schatzgräber » و « صبى الساحر Zauberlehrling» . وقد قال جيته لا يكرمان ان صديقه كان يسأله دوما عن شىء جديد لمجلته الفنية . وهكذا الف جيته فى ذلك الوقت كتابة القصص الشعرية التى لا تدور حول فكرة « الفيبيات » و « الهيوليات » . ومن اللطيف ايضا ان نلاحظ ان جيته كان يكتب أحيانا بأسلوب شيلر ، ويتكلم بكلماته ، ويعبر عن آرائه .

الرحلة الثالثة الى سويسرا

ووضع جيته برنامجا لرحلة جديدة ، يقوم بها الى ايطاليا فى سنة ١٧٩٧ . وكان ماير قد سبقه اليها ولكن هذه الرحلة لم تتم فى هذه المرة ايضا بسبب ما تميزت به تلك الفترة من قلق واضطراب . وبدلا من هذه الرحلة ، قام جيته برحلته الثالثة الى سويسرا ، فذهب فى ٣٠ يوليو من تلك السنة

ومعه كريستيانه وابنه اوجوست لزيارة امه فى فرانكفورت الماين . وبقى هنـــاك حتى ٢٥ أغسطس حيث كان فى اتصالات دائمة مع اصدقائه القدامى فى المنطقة ، كما انه قام فى اثنـــاء هذه الفترة بالكثيرمن الدراساتالمتنوعة والابحاثالتى تهمه .

ويبدو انه كانت لديه فكرة ان يجعل من رحلتـــه رواية استطلاعية تعليمية . ولكنه انشغل فى فرانكفورت الى حـــد كبير بحيث انه لم يستطع فى النهاية ان يجمع المواد ، وقرر ان يتخلى عن هذه الفكرة . ونقد نشرت مذكراته عن هذه الفترة تحت عنوان « من رحلة Aus einer Reise in der Schweiz الى سويسرا » وذلك بعد وفاته .

ومن فرانكفورت ، قصد جيته هيدلبرج ثم هايلبرون Heilbrunn حيث زار قلعـــة جيتس Goetzens Turm . وأمضى يوم عيد ميلاده فيها ، ثم واصل السفر الى شتوتجارت . ومنها ســـارع مرة اخـرى الى مساقط نهـر الراين وراح يتمتع برؤية ذلك المنظـر الطبيعى الرائع .

وفى الطـريق الى تسـيريش اوحت له شجرة تفـــاح كانت مغطاة باللبلاب بمرثية « امينتاس Amyntas » .

وفى تسيريش زار بيبه ، ولكن هذا الاجتماع شابه شىء من النكد الذى ربما كان ناجما عن المتاعب التى كان يلقاها فى الدوائر الدينية ، وبعد ذلك توقفت المراسلات مع بيبه ايضا ، وحقدت بالفعل فى أواخر ايامها على صديقها القديم ، فأحرقت كل رسائله اليها قبيل وفاتها (١٨١٨) . وقد تجنب جيتـــه صديقه لافاتر طوال هذه الرحلة .

وقد زادت الرحلات عامة من بهجته ، وخاصة تلك التى

قام بها مع ماير فى ضواحى تسيريش حيث ذهب معه فى الثالث من اكتوبر الى سان جوتهارت . وفى طريق عودته ، بلغه نبأ وفاة تلميذته الموهوبة كريستيانة نويمان Christiane Neumann التى صارت ممثلة مرموقة فى مسرح فايمار Weimarer Theater وكانت هذه الفتاة تبشر بمستقبل كبير . واهدى الى ذكراها الطيبة المرتبة العاطفية « ايوفروزينه Euphrosine » (١٧٩٨) . وجعل لها أجمل تذكار يمكن أن يكون لتخليد فرد على الاطلاق .

وعندما زار مواضع « تل Tellstätten » الخالدة تحمس الكتابة عن فيلهلم تل Wilhelm Tell ، ولكن شيلر أخذ ما جمعه جيته من مواد وجعل منها مسرحية رائعة .

قمة النشاط

وعاد جيته من رحلته فى نهاية اكتوبر ، ومن ثم بدأ على الفور نشاطه الشعرى ، فانكب فى ربيع سنة ١٧٩٨ على كتابة « فاوست » ، والف بعض القصص الشعرية والاغانى ، كما اكمل « Der Zauberflöte, Zweiter Teil المزمار السحرى الجزء الثانى » .

وشرع بعد ذلك فى نشر « بروبيلين Propyläen » وهى مجلة دورية تبحث فى كل فروع الفن ، وقد عهد بنشرها الى الناشر جوتا Gotha فى تيبنجن Tübingen .

ووصل جيته الى قمة نشاطه ، ولكن قواه توزعت بين اعماله العديدة ومشاغله المتزايدة ـ الامر الذى لم يمكنه لمدة طويلة من أن يؤلف أى عمل كبير .

وعرف شيلر كيف يستفيد من موهبته بطريقة احسن فانهمك فى ذلك الوقت فى كتابة الرواية التاريخية ووضع ثلاثية « فالنشتاين Wallenstein » التى استقبلها الجماهير فى مسرح فايمار بفيض من التقدير والاستحسان وقد لمعت من بين اعمال جيته فى سنة ١٧٩٩ بعض المقطوعات الشعرية الصغيرة بالاضافة الى قصيدته الفنية « الجامع وانصاره Der Sammler und die Seinigen » ولكنها لم تصل الى مستوى انتاج شيلر .

هوميروس المانيا

وبدا جيته فى هذه الفترة كما لو كان يمت الى هومير فى الياذته ، اذ حاول ان يجمع بين ملحمة « الالياذة والاوديه Ilias und Odyssee » وبين الملحمة الالمانية الحماسية « اخيليس Achilleis » . ووصل فيها الى السداسية الحادية والخمسين بعد الستمائة ، وعندئذ فقط ادرك انه اخطأ فى طريقة تناول الموضوع ، اذ لم يكن له صلة بالحماسة وان كان يسير على الطريقة الروائية . اما من ناحية الحجم فكانت هذه الاشعار فى الحقيقة تجارى الاشعار القديمة ونباريها .

محمد .. واعمال اخرى

وقد سبب له المسرح مرة اخرى متاعب جديدة ومشاكل كثيرة اذ لم يكن لديه فى جعبته الا عدد محدود للغاية المسرحيات . ومن ثم انهمك جيته ايضا فى الترجمة ، فنقل فى سنة ١٧٩٩ قصة « محمد » لفولتير Voltaire وترجم فى سنة ١٨٠٠ « تانكريد Tankred » وترك البقية على شيلر الذى انتقل الى فايمار فى آخر سنة ١٧٩٩ .

وكان جيته فى هذه الفترة متخلفا عن صديقه الى حد ما ولكنه ضاعف جهده حتى انتهى من « النســـــاء الطيبات Die guter Weiber» (ســـنة ١٨٠٠) ، ومسرحيتى المهرجان « بالايوفرون ونويتربه Paläophron und Neoterpe » و « ماذا نجلب لا Was wir bringen » التى ضم اليهـــا قصيدته « الطبيعة والفن Natur und Kunst » فجـاءت بشكلها الكلاسيكى دليلا على طاقة عقل الشاعر التى لم تتأثر بالزمن .

البنت الطبيعية

ولكن المشروع العظيم التالى ـ الذى بدأ فى تنفيذه بالفعل قد باء بالفشل ، ذلك أن مذكرات الاميرة بوربون ـ كونتى Die Memoiren der Prinzessin Bourbon-Conti قد ادت به الى فكرةخادعة للمسرحيةالتى كان يريد أن يؤلفها لتكون مثل ثلاثية « البنت الطبيعيـــة Die natüriche Tochter » (١٨٠٢) ،ولكنه لم يتم منها الا الجزء الاول فحسب .

وفى هـــذه الثلاثيـــة تحب أيوجينى Eugenie ـ البنت انطبيعية للامير ـ دوقا لم تكن لتستطيع أن تتزوجه باعتبارها بنتا غير شرعية . ومن ثم يريد الملك أن يصحح هذا الوضع ، الا ان دوائر البلاط واخو أيوجينى يقفون جميعا فى وجهـه ؛ فاخوها لا يسمحبانقاص الميراث ، عدا انهم جميعا كانوا يرتابون فى صدق حب الاميرة للملك والشعب ـ فضلا عن أنهم يرون فى ذلك خطرا على مصالحهم الشخصية وخاصة بعد أن تحول الملك ضدها . ولم يعد لها سبيل للخلاص الا اذا تنازلت عن حقوقها ، واختارت الفتاة على الفور زوجا مدنيا وقررت ان تقبل الزواج من مستشار فى البلاط بعد أن وعدها بان لاينظر

اسما الا كاخت فحسب ــ وذلك رغبة منها فى أن تصون لنبيت الذى تأمل أن تكون نافعة له فى ساعة الخطر .

وفى هذه الثلاثية الجميلة ، اراد جيته أن يصور ا الثورة الفرنسية مسرحيا ، ولكنه انتهى بها فحسب الو القطعة الوحيدة التى قال عنها ل . تيك L. Tieck انه خمس فصول أولى تبدو فيها الطرق التى كان النبلاء يت فى البلاط والتى تسببت فى ذلك الانهيار المتوقع له . . هذا العمل لم يخرج الى حيز النور منه الا هيكله فحسب

وفى ٢ ابريل ١٨٠٣ ، مثلت المسرحية لاول مرة فى ولكنها لم تترك أى أثر على المشاهدين بل ظلوا جامدين بالرغم من « قوة لغتها وموسيقاها » . والى جانب ذلك فشلت المسرحية لعدة أسباب منها نقص الحركة من نا فضلا عن الاتيان بشخصيات كلها مجهولة ، فيما عدا ه الدور الرئيسى التى كانت من طبقة نبيلة وتسمى « اويجي وضايق هذا الفشل جيته كثيرا ، فضلا عن أنه عانى مما وجه اليه من لوم ونقد عنها ، وقد سخر منه هيردر كانت نفسه تنضح بالمرارة من جيته ، وقال ان ابنه ال يحبه أكثر من ابنته . ولم تمض بعد ذلك الا بضعة ا مات هيردر فى ١٨ ديسمبر ١٨٠٣ ، ودفن فى كنيسة المد ولكن جيته لم يشأ أن يسمح لنفسه بالخوف من الفشل

مسرحية جيتس

وفى سنة ١٨٠٤ ، اقتبس للمسرح قصته «جيتس Götz فالغى منها كثيرا من المناظر ، واستعمل أخرى محلها ، أدخل فيها شخصيات جديدة مثل « البارونة فون بلينتس Edlen von Blinzkopf » وبذلك زاد من تعقيد الموض

بشكل يفوق ما كان عليه من قبل ، كذلك صار العرض طويلا جدا اذا كان يستمر لمدة ست ساعات تقريبا . ومن ثم قسمها فى النهاية الى قسمين : يتكون الاول منهما من خمسة فصول والثانى من أربعة فصول . وكان هذا التقسيم سيئا بحيث أدى بها الى أوخم العواقب فى سنة ١٨٠٩ .

اغانى ومسرحيات

وفى سنة ١٨٠٤ أصدر جيته بالاشتراك مع فيلانت ديوانا ، نشر فيه عددا أكبر من الاغانى الجماعية . وظل يأخذ عن الشعراء الفرنسيين ، وقد كان متصلا بهم اتصالا وثيقا منذ شبابه .. ظل يأخذ عنهم دائما مواد جديدة للمسرح . فقد ترجم عن « ديدرو Diderot » فى سنة ١٨٠٤ « ابنة أخت رامو Rameau's Neffe » .

وأثر ذلك على شيلر ، الذى حافظ هو الاخر على شهرة مسرح فايمار برواياته الخاصة .

شيلر يختفى

ومن المؤسف حقا أن جيته لم يستطع أن يحتفظ لمدة طويلة بصديقه الذى لا عوض له عنه ، فمع بداية شهر مايو من سنة ١٨٠٥ ، سقط شيلر مريضا اثر برد شديد أصابه . وكان فى ذلك المرض نهاية حياته فى اليوم التاسع من مايو . وتأثر جيته لذلك تأثرا عميقا ، بل هزت الوفاة كيانه ، وراح يقول انه قد فقد نصف وجوده .

وكان جيته فى أول الامر يعتزم اتمام رواية شيلر الاخيرة « ديمتريوس Demetrius » التى لم يستطع أن يكملها . ثم فكر بعد ذلك فى اقامة حفل تأبين شعرى كبير ، الا أنه لم

يستطع أن يحقق هذه الفكرة أيضا . ومن ثم وضع جيته مرثية عن « ناقوس شيلر Epilog zu Schillers Glocke » لتابينه في الحفل الذي اقيم في لاوخشتيت Lauchstädt » في اليوم العاشر من اغسطس لسنة١٨٠٥ ، فكان ذلك فيالواقع أحسن تقدير منه لصديقه العظيم .

وقد سببت وفاة شيلر لجيته حزنا شديدا وفراغا ليس من السهل ملأه ، ولم يستطع جيته أن يودع الاحزان قلبه ويحجبها في صدره ، الا عندما انكب على العمل المتواصل من جديد ، فعكف على وضع الشعر ، والاهتمام بالفنون الجميلة والعلوم الطبيعية والدراسات الادبية — وذلك بحيوية مذهلة ونشاط يدعو للعجب . وظل عقله يعمل دون انقطاع ، فاتجه الى المسرح والى المؤسسات العلمية فيالبلاد ، حيث قام باجل الخدمات وانفعها بشكل غير عادي .

وفي سنة ١٨٠٥ ، وبمساعدة مايير نشر العمل الرائع في تاريخ الفن « Winckelmann und sein Jahrhundert فنكلمان وقرنه » الذي يمثل قمة الكلاسيكية . ولكن سرعان ما فاجأته الاحداث السياسة التي ما كان ليهتم بها أدنى اهتمام حتى ذلك الوقت .

وبعد أن عدل «شتلا» ، وأتم القسم الاول من «فاوست» ذهب ثانية للعلاج في كارلزبات في سنة ١٨٠٦ .

جيوش نابليون في فايمار

وعاد جيته الى بلدته في الرابع من اغسطس اي قبيل الاحداث التي كانت تهدد بالخطر ، ففي خريف ذلك العام بدأت الحرب بين نابليون وبروسيا وعاد فيها كارل اوجوست لقيادة مرة أخرى . وفي ١٤ اكتوبر سنة ١٨٠٦ منى الجيش

البروسى بالهزيمة عند يينا فدخل الفرنسيون فيمار واشاعوا فيها الخراب بطريقة وحشية . ولكن الدوقة لويزة تدخلت لمنع تخريب المدينة ومقر الدوقية . وواجهت نابليون فى حزم وبشخصية قوية جعلته يحترمها ويقدرها .

وكانت حياة جيته نفسه مهددة اذهاجم الجنودالفرنسيون داره ، ولكن كريستيانه انقـــذته بأن دفعت به الى خارج الحجرة . وفى ١٩ اكتوبر تزوج جيته منها فى الكنيسة . وقد حاول جيته فى هذه الايام العصيبة ، التى كان كل شىء يتهدد فيها بالانهيار ، أن يصـــون ويحافظ على كل ما يمكنه . وكذا اوقف نفسه على الدفاع عن الجامعة فى يينا ، واولى عنايتـه بصفة خاصة لانقاذ « المانيا الاوربية » حتى مر الخطر وانحسر عنها بالفعل .

مينا هيرتسليب

وفى خلال اقامته فى يينا فى اثناء الشتاء التالى تعرف الى مينا هرتسليب Minna Herzlieb فى دار فرومان Fromann بائع الكتب . وكانت هذه الفتاة ـ كمايقول الناس ـ الاساس الذى بنى عليه جيته شخصية اوتيليى فى الانساب المختارة . وربما كانت مينا سببا فى وضعه « اغانى يينا Jenaer Sonette » المنتهية التى كانت بيتينا برنتانو Bettina Brentano ابنةماكس Maxe « الرائعة » تعتقد انه يشير بها اليها . ولكن الفضل فى هذه الغزليات انما يدين به جيته الى الرومانتيكيـــة ، حيث كانت له علاقة بهم ترجع الى سنة ١٧٩٥ .

وفى سنة ١٨٠٧ ، كثيرا ما كان جيته يجتمع مع « زكريا فيرنر Zacharias Werner » فى يينـــا ، اذ كان زكريا يهتم الغاية بهذا النوع من الشعر الغنائى .

الاحزان

وفى نفس هذه السنة توفيت راعيته العظيمة ، الدوقة اا آمائيا . وتوفيت والدته فى سنة ١٨٠٨ ، فبكى موتها بحزن عميق ، وأراد أن يكرمها بأثر شعرى . ولكنه لم يستطع أن يكتب الحروف الاولى منه .

وفى ذلك الوقت ، شغلته للغاية رواية « باندورا Pandora » التى شجعته على اتمامها السيدة فون ليفتسوف v. Levetzow فى كارلزبات . وفضلا عن هذه الرواية وضع قصته الشعرية « يوحنا زيبوس Johanna Sebus » وانتهى منها فى سنة ١٨٠٩ .

الانساب المختارة

وأصدر جيته روايته « Die Wahlverwandtschaften الانساب المختارة » التى اكسبته الكثير من التقدير ، ولكنها اتت اليه بفيض من التأنيب واللوم ايضا اذ أخذ البعض على هذه الرواية انها منافية للاداب . ولقد حاول جيته أن يقدم فيها شخصيات تجتذب بعضها البعض بالقوى الطبيعية ـ تماما كما يحدث فى الكيمياء ، فان العناصر الكيماوية تجتذب بعضها البعض الاخر وتكافح من أجل اتحادها .

وهكذا نجد فى هذه الرواية أن اداوارد Eduard يحب اوتيليى Ottilie ، وهى امراة عاطفية حساسة متزوجة من أحد النقباء . ومن هنا تبدأ المسائل فى التعقد ، وتصبح لها من النتائج ما هو خطير بحق . وفيما عدا اليوميات التى كانت تكتبها اوتيليى والهدف الصوفى الرومانتيكى للقصة ، فان العرض غير عادى فى جاذبيته وسحره ، بل هو عصرى الى حد ما أيضا . ولم يكن ثمة داع للوم الذى وجه لجيته اذ

اعتبروه يمجد الفجور والعربدة والفاحشة فى مجرى الاحداث المحزنة التى تضمنتها هذه الرواية .

موشحات والوان

وفى شهر يناير سنة ١٨١٠ ، وضع جيته مجموعة من الموشحات اللطيفة للمهرجان الكبير الذى اقيم عن « الشعر الرومانتيكى Die romantische Poesie » .

وبعد ذلك نشر « نظرية الالوان Farbenlehre» حيث عارض فيها وجهات نظر نيوتن بأساليب علمية خالصة . ومن ثم دخل فى متاعب مع العلماء ايضا ، واشترك جمع كبير منهم فى هـذا الصراع ، وكان البعض منهم فى صفه بينما وقف البعض الاخر ضده .

يكتب للتاريخ وحده

ولم يعد جيته يحس بالسـعادة او يهتم بالتشجيع الذى اعتاد الناس أن يوجهوه الى أعماله ، وشعر هو نفسه بانه يكتب للتاريخ وحده وان معاصريه لم يعودوا يفهمونه ، ولذلك قرر ان يسجل قصة حياته وتطورها . وراح ينشر ما يكتبه منها فى أجزاء خاصة ظهر اولها فى سنة ١٨١١ ، فى كتـابه « Dichtung und Wahrheit : Aus meinem Leben الشعر والحقيقة : من حياتى » .

وتضمن هذا العمل عرضا مفصلا لحياته حتى سنة ١٧٧٥ ، ووقف الشاعر عند هذا الحد ، ولم يتعرض لتجاربه فى فايمار اذ منعه من ذلك الذوق والعقل . ولكنه عاد وسجل هذا كله فى « يومياته Tagebücher » ، و « حولياته Annalen » ،

و « تفصيلات الترجمة الشخصية » Biographische Einzelheiten .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد عالج بالتفصيل بعض الاحداث الهامة مثل « الرحلة الايطالية Italienische Reise » ، و « الريف فى فرنسا Kampagne in Frankreich » ؛ و « حصار مينتس Die Belagerung von Mainz » .

وكان اهتمامه بحياته الخاصة ، وبتلك الفترة من حياته بصفة خاصة ، التى كان فيها وطنيا خالصا ، وكان اعجابه ببدائع الفن القوطى فى شتراسبورج ، واعتباره اياه الفن الالمانى الحق .. كان كل هذا يشير الى تعديل فى وجهات نظره الفنية وتوسيعها — الامر الذى حدث فى بطء على مر الايام .

بواسيريه

وفى هذه الفترة استطاع مؤرخ الفن Sulpitz Boisserée سولبتس بواسيريه ان يؤثر فيه تأثيرا كبيرا بحيث جعل جيته بالتدريج يترك الكلاسيكية التى يتقيد فيها الفرد بوجهة نظر واحدة ، ويتجه كلية الى الرمزية الشكلية التى تتجه وجهة اكثر عمومية . ومن هنا استطاع أن يتابع الاتجاهات العالمية فى الفن والادب .

ولقد زار بواسيريه فايمار لاول مرة فى ربيع سنة ١٨١١ ، قبل أن يغادرها جيته عائدا الى بوهيميا . وفى اثناء فترة حرب التحرير ، وقع التغير المشار اليه ، وكان لذلك دلالته واهميته أيضا .

الرهان

وفى سنة ١٨١٢ ، عاد جيته الى كارلزبات وتيبلتس Teplitz للاستشفاء حيث عاملته احسن معاملة امبراطوريه النمسا التى كانت مريضة آنذاك بصدرها. وطلبت الامبراطورة اليه أن يعالج موضوع عاشقين انفصل كل واحد منهما عن الاخر بسبب الرهان . وكتب جيته فى ذلك كوميدية صغيرة هى روايته الرائعة « الرهان Die Wette» التى عرضها بنجاح امام كبار الشخصيات .

انكسار نابوليون

وبينما كان جيته يستمتع بالحظوة التى كانت له لدى الجهات العليا ، راح يرنو الى المزيد من الايام الهادئة التى خيمت فى الافق السياسى ، اذ زحف نابليون على روسيا ، وقد اغواه الحظ الباسم وقادته اطماع الفتح والمغامرات . وتقدم نابليون بالفعل الى موسكو فى معارك مهولة اختلطت فيها الثلوج بحمرة الدماء المنهمرة . وكانت جيوش القاهر العظيم قد جاءت من قبل خلال المانيا فى طريقها الى روسيا ، كما كان على أمراء تحالف الراين وبروسيا أن يلحقوا بالفاتح الاكبر فى كل مكان . واصبحت صيحات الحرب مدوية . وعلم جيته من البلاط — وهو فى طريق عودته الى فايمار — بنبأ احتلال سمولنسك Smolensk الا أن أخبار النصر لم تدم ، فسرعان ما جاءت أنباء حريق موسكو وانكسار الجيش الجبار. وفى ديسمبر سنة ١٨١٢ ولى نابليون نفسه الادبار الى فايمار واهتم فى ذلك الوقت بالسؤال عن جيته .

مسرح الحرب

وفى الربيع التالى دوت فى المانيا مرة اخرى قرقعة الاسلحة

عندما قامت الامة تصد المغيرين عن البلاد ، ولكن القـــوات المهاجمة احتلت فايمار فى ١٢ ابريل .

وتأثر جيته بفقدانه صديقه فيلاند أشد التأثير ، وشعر بالحزن والآلام من جراء تدهور الامور . وهنا اصرت عائلتـــه على أن يسافر فى نفس الشهر للترويح عن نفســـه فى غابات بوهيميا ، فذهب بالفعل الى ساكسونيا . وكان لديه احساس داخلى ينذره بقرب وقوع الشر والسوء ، ومن ثم حال دون انخراط ابنه الوحيد فى سلك المتطوعين .

وفى الصيف كانت المانيا المسرح الرئيسى للحرب . وفى تلك الايام اهتزت امبراطوريات وسقطت كيانات وتحطمت عروش كانت قائمة منذ سنين تختلف فى طولها وعددها . ولكن جيته وجد لنفسه ملجأ فى الشعر الشرقى المرح ، فأحاط نفســـه بحوائل سميكة تقيه ذلك الفيضان المهلك . وكان الفضل فى ذلك يرجـــع للمستشرق المرمـــوق Hammer-Purgstall هامربور بورجشتال من جراتس Gratz ، الذى أوحى لجيته بهذه الفكرة . وكان هذا المستشرق ينشر منذ ســـنة ١٨٠٩ صحيفة دورية عن الشرق يسميها « مستودع كنوز المشرق Fundgruben des Orients » .

ديوان حافظ الشيرازى

ونشر جيته فى سنة ١٨١٢ « ديوان محمد شمس الدين حافظ Diwan Mohammed Schemseddin Hafis» . وكانت الظروف التى احاطت بالشاعرين متشابهة ، فقد كان حكيم شيراز ينشد اشعاره ومن حوله ارهاب تيمورلنك ، بينمـــا امسك جيته بقيثارته فى اثناء حرب التحرير . وشغلت هذه الدراسات وقت جيته فى بوهيميا الى حد كبير ، حيث كتب القصتين الشعريتين « ايكارت المخلص Der Getreue Eckart » و « الجرس المتجول Die Wandelnde Glocke » .

وفى شهر أغسطس التالى ، سافر جيته الى دريزدن بعد اعلان الهدنة ووقف العمليات الحربية بين الطرفين المتحاربين ؛ الا ان الحرب سرعان مانشبت ثانية واشتركت فيها النمسا فابعدته عن البلاد . وذهب جيته الى غابة تورينجن حيث وضع اغنيته « عند المرور Im Vorbeigehen » . وبعد موقعة لايبتسيج هربت فلول الجيش الفرنسى المنهزم تجاه الراين وراحت الجيوش المتحالفة تقتفى اثرهم ، فاحتل الجيش النمساوى الذى كان يقوده الجنرال بوبنا Bubna فايمار .

واعتقد جيته عندئذ انه آمن متاعب الحرب التالية ، فراح يشغل نفسه بالشعراء العرب والفرس ، الذين اغروه على وضع مجموعة جديدة من الاشعار .

الى الراين

ومع بداية سنة ١٨١٤ الملطخة بالدماء ، كانت الحرب على اشدها ، الا أن جيته سرعان ما تنفس الصعداء ، واستنشق هواء الحرية . وراح يضع الخطط الجديدة ايضا ، ثم بدا بالفعل فى تنفيذ احداها فى الصيف . وفى هذه الفترة ، طلب اليه بواسيريه ان يزور كنوز الفن فى بلاد الراين ، ووجد هذا العرض منه قبولا على الفور .

دقات الساعة

وبدأ جيته فى ٢٥ يونيو رحلته من فايمار بقصد زيارة هذه الروائع الفنية ، فوصل فرانكفورت فى ٢٨ يوليو . وهناك استسلم للذكريات القديمة ، وزار معارفه القدامى بالرغم من شدة الحرارة . وعندما مر ببيت ابيه ، سمع دقة ساعة الصالة التى كان يعرفها تماما . فاحالت كثيرا من الصور التى تقبع هادئة فى نفسه عن الايام الخوالى الى صور حية .

وذهب بعد ذلك الى فيزبادن للاستشفاء . وفى الطريق الى هناك ، تمتع برؤية الاراضى الزراعية الناسعة والفلاحون يجنون منها محاصيلها الوفيرة . ومثلما حث العملاق انتيوس Antaeus التى تقول الاساطير انه يستعيد قوته من جديد بمجرد اقترابه من الارض التى ولد عليها حتى انه أحس ثانية « بنسيم الشباب ونفح الصيف » ، وانبعثت من صدره المسرح الاغانى واحدة بعد أخرى ، والى جانب ذلك وضع الكثير من أشعار الحكمة وبعض مقطوعات الهجاء التى أملاها عليه الموقف .

وفى وسط اغسطس ذهب جيته متحمسا « للتلال الممتدة على الراين ، والاقاليم المباركة » . ومتع عينيه بروائع الطبيعة فى اقليم الراين ، كما تذوق خمر « آيلفر Eilfer » وتغنى بها . وكانت سنة ١٨١١ سنة توفر فيها محصول العنب . وفى ١٦ اغسطس عبر جيته الراين وارتقى الجبل الى كنيسة روخوس Rochus Kapelle قرب بنجن ، وكانت هذه الكنيسة قد اعيد تشييدها لتو بعد تخريب الفرنسيين لها ، ورأى جيته كتل الحجيج الدينيين اليها الذين جاءوا للاحتفال بالقديس ، وقد زاد عددهم على عشرة آلاف شخص . وأثر ذلك فى جيته ، فوضع وصفا لهذا الاحتفال مفعما بالمناظر الحارة . ولما عاد الى فيزبادن ، تسلم دعوة من عائلة برنتانو لزيارتهم فى عاصمة بلدهم فى فينكل Winkel على الراين . وكان ذلك فى يوم عيد ميلاده الذى تلقى فيه ايضا وفرة من التهانى . وفى أول شهر سبتمبر من سنة ١٨١٤ سافر الى فينكل وامضى ايام خريف لطيفة تماما فى ذلك المجتمع الريفى الجميل ، حيث باشر القيام بعده نزهات خلوية صغيرة .

أنتونيه فون برنتانو

وكانت المزرعة الواقعة قرب يوهانزبرج من ممتلكات

المحلف والنـــائب فرانتس برنتـــانو Franz Brentano من فرانكفورت ، وهو ابن ب. ا . برنتانو من زواجه الاولى واخ غير شقيق لبينينا وكليمنز Clemens برنتانو . ولقدتزوج فرانتس برنتـــانو من انتونيـــه Antonio v. Birkenstock فون بركنشتوك من فيينا ، وهى سيدة جميلة بارعة الذكاء ، كان بيتهوفن Beethoven من أقـــرب أصـــدقاء والديها . وتشير خطاباتها لجيته عن مدى الصداقة القوية التى ربطت بينهما وعن مدى اعجابها به ، الا أن نظرتها الى الماضى الجميل راحت تسود فى أيام الشيخوخة ، اذ كان الماضى قدبلغ بحياتها الذروة اثر علاقتها مع جيته . وقد توفيت انطونيه فى ســنة ١٨٦٩ . واعقبت اقامة جيته فى منطقة الراين بزيارة ثانيـــة قام بها فى فرانكفورت لمجموعات الفن الفريدة بناء على نصيحة بواسيريه . . وكذلك شارك جيته فى المجتمع وتعرف الى الناس جددهم المستشار الخاص ى . ى . فون J. J. v Willemer فيلمير الذى اصبحت له اهمية خاصة عند جيته .

كنوز المانيا الفنية

وفى ٢٤ ســبتمبر ذهب الى هايدلبرج ليرى مجمـوعة زولبينس وملشيور Melchior الفنية الضخمة . وهى كلها صور تنتمى الى المدرسة الهولندية بصفة خاصة . وتعلق جيته بها كثيرا اذ انها جعلته يحس بقيمـة الاعمال الفنيـــة المسرحة . وبعد ذلك زار جيته تحف مانهايم ودارمشتات وأوفنباخ وهاناو Hanau ، التى اكدت له صحة رأيه وسلامة اتجاهه فى ان المانيا تضم كنوزا فنيه كثيرة رائعـــة . وعاد فى نهاية اكتوبر الى فايمار ثانية ، وفى جعبته مجموعة تجاربه انواسعة .

يقظة ابيمنديس

وفى أثناء هـــذه الفترة سقط نابليون ، فطلب منـــه ايفلانت Iffland ان يكتب الاشعار اللازمة لمهرجان يقام فى برلين احتفالا بتحـــرير المانيا من الحكم الاجنبى ، فوضع جيتـــه « يقظة ابيمنديس Des Epimenides Erwachen » حيث عالج اليقظة القومية الالمانية بطريقة رمزية ، واوضـــح دوره فى هذا التحول غير المتوقع للامور باسلوب فيه شىء من التواضع ، فقال :

"Das Herz emfindet längst entwohntes Glück,
Und mir erscheint, was mich bisher gemieden,
Ganz ohne Kampf, der reine Seelenfrieden."

اى :

« القلب يشعر طويلا بأنه قد حيل بينه وبين الحظ
ويبدو لى ما جنبنى اياه حتى الان ،
تماما بلا مقاومة ، ليس الا السلام النفسى الخالص » .

ولما كان جيته قد اختار شخصية أسطورية اغريقية قديمة ليرمز بها الى المانيا بغية أن يكون عاما فى حديثه ، ولا يسبب مضايقة لشخص مهما كان كنهه ، فقد ضاع الاثر المطلوب من هذا العمل الذى عرض فى برلين فى اليوم الثلاثين من مارس سنة ١٨١٥ بالرغم من اللغة الممتازة التى كتب بها والمجازات والاستعارات الرائعة التى وردت فيه . وبدلا من أن يعجبوا بما كتبه جيته ، فقد خرج البعض ليقول ان جيته الذى كان معجبا بنابليون لم يكن يضعها بقلبه ، ولذلك فانه كتب « هراء ضعيفا » حتى لا يظهر فيها آراءه الحقيقية .

وفى سنة ١٨١٣ تعرض جيته مرة اخرى للوم الناس ، بسبب مسلكه الذى بدا لهم غير قومى ، بل قامت من حوله مجموعة من الاشاعات والاتهامات بقصد اثارة الشبهات حول وطنيته .

ولكن هل كان اعجاب جيته بعبقرية نابليون يحول حقا دون احساساته الالمانية ؟ ! وهل كان انصرافه عن وضع الاناشيد العسكرية ناجما عن عدم شعوره بالقومية ؟ ! هذا امر مدار شك !

وعلاوة على ذلك ، فان نابليون فى نفس ذلك الوقت الذى كانوا يحتفلون فيه فى برلين بافول سيطرته كان قد غادر الب Elba وظهر فى فرنسا مرة أخر .

الى الراين والماين

وفى أوائل ربيع سنة ١٨١٥ يمم جيته وجهه شطر بلاد الراين والماين ليكمل ابحاثه هناك ويتعمق فيها . وكان عليه ان يقرر بأى من كنوز الراين الفنية يبدأ هذه الدراسات .

وفى ٢٤ مايو ذهب من فايمار الى فرانكفورت وفيزبادن ، وراح يجتلى محاسن الطبيعة . وفى فيزبادن ، اجتمع بثلة كبيرة من الاصحاب ، وجد معها شيئا من التسلية والمباهج . وقابل هناك الدوق كارل ، كما التقى باصدقائه من فرانكفورت . وعندما كان فى الراين فى ١٩ يوليو ، حضر حفل تسليم يوهانزبرج Johannisberg الى النمسا . وذهب فى ٢٥ يوليو مع اثبارونة فون شتاين الى ايرنبرايتنشتاين Ehrebreitenstein وكيلن Köln حيث اهتم بصفة خاصة بمشاهدة الكاتدرائية غير الكاملة فى ٢٦ يوليو . ومن كيلن اتجه الى بون Bonn وكوبلنتس Koblenz حيث تعرف الى يوسف جيريس

Josef Görres . وفى ذلك الوقت ، كان جينه مشغولا بصفة خاصة بفكرة شتاين لانشاء جمعية لتاريخ الالمانى .

وبعد عودته من فيزبادن ، ظهر بواسيريه الذى تابع معه فيمابعد البحث عن الكنوز الفنية فى ماينتس وفرانكفورت .

زوجة ميلر الجميلة

واحتفل جينه بعيد ميلاده هذه المرة عند المستشار الخاص ى . ى . فون فيايمير فى جيربر ميله Gerbermühle قرب أوبررات Oberrad وكان المستشار قد تزوج فى سنة ١٨١٤ من ماريانه يونج Marianne Jung، وهى سيدة جميلة جذابة درست فى النمسا ، واصبحت الان روح البيت ، وعرفت كيف تجعل من الحياة فى المزرعة حياة كالطف ما تكون الحياة .

وفاجأت « زوجة ميلر الجميلة » صديقها جيته أيضا باحتفال بهيج ، كانت فى أثنائه تضع — وفقا لما جاء فى شعره الشرقى — عمامة اطلت من بينها جدائل شعرها البنى . وهكذا وجد حاتم زليخته ، ووجد جيته مادة طيبة لشعره الغنائى الجديد . ووجه اليها فى هذه الاونة أغانيه ، وسرعان ما جلبت هذه الصداقة لآليء شعرية الى الشاطىء .

ولم تكن ماريانا مجرد معجبة تفهم اشعاره ، بل كانت ايضا ذات موهبة شعرية ملحوظة حتى انها كانت تستطيع ان ترد على الاشعار بمثلها ، فكانت بذلك أول امراة من نوعهايلتقى بها جيته . ولقد ضم جيته بعض أشعاره الى مجموعته « الديوان » بعد ان اضاف اليها بعض التعديلات الطفيفة ، ومن أشعارها المعدلة تلك الاغنية الشهيرة « الى الريح الغربية An den Westwind » :

"Ach, um deine feuchten Schwingen,
West, wie sehr ich dich beneide !
Denn du Kannst ihm Kunde bringen,
Was ich in der Trennung leide."

اى :
« آه لاجنحتك المبللة
يا ريح الغرب ، انى لاحسدك !
فانك تستطيع أن تنبئه ،
بما اقاسيه من الفراق » .

وكثيرا ما اتصل جيته فى صيف ١٨١٥ وخريفها بهذه المراة العجيبة وآلها ، وخاصة ابنة زوجها الانسة روزيت شتيدل Rosette Städel التى كانت صديقة لانطونيه برنتانو وكان ذلك فى فرانكفورت ، ثم فى هايدلبرج بعد ذلك . وفى هذه المرة اضطر الى أن يبتعد ثانية عن المناطق الجميلة القريبة من موطنه الاصلى ، والتى قابل على ارضها كثيرا من الاشخاص المحبوبين . وفى ١١ اكتوبر ، وصل الى فايمار ثانية فبدت له فى هذه الفترة مصدرا للضيق والضجر .

الفن والاثار .. واغانى الحب

واثمر اهتمامه بالموضوعات الفنية فى الراين صحيفة « الفن والآثار Kunst und Altertum » (١٨١٦) التى استمر فى اصدارها حتى آخر حياته . وكانت سنتا ١٨١٤ ، ١٨١٥ تمثلان التناقض البديع مع ايام شبابه ، وخاصة ما قضاه منها فيما بين سنتى ١٧٧٠ — ١٧٧٢ . واسترد جيته ثانية نشاطه وحيويته ، واهتم باغانى الحب وتحول مرة اخرى الى الفن الالمانى القديم ولكن دون أن يضع جانبا عامل القدم . وعلاوة على ذلك فكر فى زيارة توثيق صلات كل من الاقليمين بالفن الجرمانى الكلاسيكى والفن العالمى .

وفكر فى رحلة جديدة يقوم بها لوحده فى سنة ١٨١٦ الى الراين ، ولكنها لم تتم اذ بدأت ظروف حياته تسوء . وظل النهوض بساكسونيا ــ فايمار من اكبر ما يبعث فى نفسه اللذة والسرور . ولكن اصابته ضربة شديدة سببت له حزنا عميقا ، اذ انه عاد فى ٢٩مايو من بينا ، فوجد زوجته مريضة. واصيب هو نفسه فى ٤ يونيو بقشعريرة اضطرته الى ملازمة الفراش .

وعند ظهر اليوم السادس من يونيو ، وبينما كانت فايمار كلها فى ابهى حللها ورونقها تستقبل الامير برنهارت Bernhard وعروسه الجديدة ، توفيت كريستيانه وهى تعانى آلاما حادة مريعة رهيبة . وحزن جيته لوفاتها حزنا شديدا ، واحس بالفراغ والهدوء القاتل يترعرع فى داخل نفسه وخارجها . ومن ثم كتب هذه الاشعار التى تشير الى كم هو منهار :

"Du versuchst, O sonne, vergebens,
Durch die düstren Wolken zu scheinen !
Der ganze Gewinn meines Lebens
Ist, ihren Verlust zu beweinen."

اى :

« عبثا تحاولين ، أيتها الشمس
ان تضيئى خلال السحب المعتمة !
فكل ما يغرينى بالحياة من بعدها
انى أبكى فقدانها »

أحزان وارهاق وشيخوخة

وكى لا تستبد بجيته الاحزان ، انكب على اعماله بنشاط ، ولكن سرعان ما ظهرت نتائج هذا الارهاق الجسمانى الخطر . ومن ثم اضطر الى القيام برحلة يستجم فيها ، ويروح بها عن نفسه ، وقرر أن يذهب الى هايدلبرج وبادن Baden . ورحل بالفعل مع ماير فى ٢٠ يوليو ، ولكنه تخلى عن فكرة الاستمرار فى رحلته هذه قبل الوصول الى غابات مينشين Münchenholzen حيث انقلبت عربته وجرح ماير ، ومن ثم ذرر العودة ليتجه بدلا من ذلك الى تينشتيت Tennstädt . ولم يكتب له أن يرى ثانية اصدقاءه ومعارفه الذين يقيمون فى الراين والماين ، اذ لم يقم برحلات طويلة اخرى فيما عدا تلك التى تردد فيها على غابة تورينجن وبوهيميا وبعض منابع المياه .

وكان لكبر السن حقه الذى راح يأخذه من الشاعر الكبير ، فسرعان ماذهبت عنه نشوة المرح التى كان يتمتع بها فى السنوات الاخيرة . وهذا ما شعرت به أيضا لوته كستنر Lotte Kestner عندما زارته فى آخر سبتمبر ١٨١٦ حيث كانت اختها متزوجة ومقيمة فى فايمار . فقد بدا لها بيت جيته موحشا . ولكن ما أن تزوج ابنه اوجوست فى سنة ١٨١٧ من أوتيليى فون بوجفيش Ottilie v. Pogwisch ، حتى اخذت زوجة الابن على عاتقها واجبات سيدة المنزل ، وراحت تضفى على مغرب حياة جيته الشيخ الوانا من الجمال الرائع .

بعيدا عن المسرح

وانسحب جيته فى ذلك الوقت من ادارة المسرح محتجا على السماح للممثل كارستن Karsten من فيينا — على

غير ارادة جيته وخلافا لنظم المسرح وتقاليده ـ بالظهور على خشبة المسرح فى احد مشاهد المسرحية ، وبصحبته كلبة مدربة تقتفى آثار مجرم .

وشعر جيته بالضيق لذلك فذهب الى يبنا ، حيث بقى فيها غالبية الفترة ما بين ٢١ مارس و ٧ اغسطس ١٨١٧ . واحتفل الشاعر بعيد ميلاده فى هدوء شامل عند باول انتسله Paulinzelle الصغيرة ، واحس بفيض السعادة تغمره عندما تلقى تهانى اصدقاءه فى فرانكفورت .

اغانى المهد

وعلى اية حال ، فقد بدات السنة التالية بداية طيبة الى حد ما . وفى ٩ ابريل ١٨١٨ ، استطاع ان يغنى لحفيده الاول ، فالتر Walther ، اغنية المهد Wiegenlied . وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر يونيو ، جاء الى هذه الدنيا الامير كارل الكزندر Karl Alexander الذى تدين له فايمار بروعتها وجلالها والذى وضع تحت رعايته الابحاث الجديدة عن جيته. وفى المهرجان الذى اقيم فى ١٨ ديسمبر ١٨١٨ بحضور الامبراطورة الروسية ارملة الامبراطور الروسى الراحل ، اشار جيته الى هذه الحادثة ، تاركا للفن والموسيقى مجال التعبير :

"Nun aber an die Wiege ! diesen Sprössling
Verehrend, der sich schnell entwickelnd zeigt
Und bald herauf, als wohlgewachsner Schössling,
Der Welt zur Freude hoch und höher steigt !
Sein erster Blick begegnet unserm Kreise..."

أى :

« الآن هيا بنا الى المهد نكرم هذا المولود

الذى نراه سريع النماء ، عاجل النشأة
كتبته حسنة تزداد ارتفاعا
وتزيد بهجة العالم ،
ويلتقى فى نظراته الاولى بنا » .

الديوان الغربى الشرقى

وفى الصيف ، ذهب جيته الى كارلزبات لاستعادة صحته المعتلة المنهكة . وسرعان ما استرد كامل قوته ، وعاد للحياة فى بطء ، واندمج ثانية فى الحياة الاجتماعية للشعر والعلوم الطبيعية ، وراح يعد للطبع المجموعة الاخيرة من مجموعة اشعاره الغنائية الضخمة التى ظهرت فى ١٨١٩ تحت عنوان « الديوان الغربى ـ الشرقى West — östlicher Diwan » .

وينقسم هذا العمل الى ١٢ كتابا تضم حوالى ٣٠٠ قصيدة ، تعرض تجاربه الخاصة والمشاعر الالمانية فى ثوب شرقى . وأراد جيته بكلمة « ديوان » نفس الكلمة التى نقولها نحن « لمجموعة » من القصائد او الاغانى العربية . وقصد بها أن يربط العالمين كليهما بالاخر ارتباطا روحيا . وهذا ماتراه واضحا ايضا فى العنوان الذى اختاره لديوانه ، ولكننا نلاحظ ايضا ابتداءه بكلمة « الغربى » ، فبالرغم من العلائم الشرقية القليلة التى كانت من أثر سلطان حافظ عليه ، والتى جاءت واضحة حتى فى الشكل الخارجى ، اذ جمع فى ديوانه المقدسات القديمة مع المسائل غير الشرقية ، الا انه لا اثر للاوزان الشعرية الفارسية البتة فى هذا الديوان . بل على العكس تماما ، فان «ديوان » جيته ليس الا عملا المانيا اصيلا مليئا بالاصالة الخالصة ، اللهم الا فى القليل من الاشعار المتصنعة فحسب .

وهنا يبدو اسلوب جيته واضحا فى كبره حيث أن مرحه وخياله الاصلى صار أميـل الى الاحتجاب . وفى الحقيقة أن « ديوانه » الذى قوبل أولا بالحيرة والدهشة ، انما كان يحمل فى ذاته الشخصية العالية للشاعر . وضرب جيته بذلك مثلا ان جاء بعده ممن مزجوا بين الشرق والغـرب ، أمثال ريكرت Rückert وبلاتين Platen وبودنشتيت Bodenstedt وشـاك Schack.

ولقد أضاف جيته للطبعات الاخيرة التى ظهرت فى سنة ١٨٢٧ وفى سنة ١٨٣٧ حوالى سبعين قصيدة أخرى ، كان يضعها فى المناسبات التى استجدت فى هذه الاثناء .

عيد ميلاده السبعين

وفى نهاية اغسطس سنة ١٨١٩ ، ذهب الشاعر ثانية الى كارلزبات للاستشفاء حيث انه كان قد افاد للغاية من زيارته السابقة لينابيعها فى العام الماضى . وهناك ، احتفـل جيتـه احتفالا هادئا بعيد ميلاده السبعين ، بينما كانت مدينة وايمر تقيم احتفالا ضخما بهـذه المناسبة مع انه كان قد انفصل قبل ذلك بسنتين عن مجتمع مواطنيه . وراح جيته يتأمـل فى حياته الماضية ويسعيد ذكرياتهـا ، فى الوقت الذى كان يستعد فيه للطبعة الجديدة من اعماله فى عشرين مجلدا التى تقصد بها ان تجدد ذكراه فى اذهان الشعب الالمانى ، وتفاجىء أصدقاءه وتدهشهم ، وذلك بالرغم من انه لم يستطع ان يتم كتاباته عن « ترجمته الشخصية » ، ولا أن يتم قصـتـه « فاوست » .

الحقبة الرابعة

١٨٢٠ — ١٨٣٢

نحو أدب عالمى

ترك جيته فى الشعر أيضا ، كما نرى فى الفنون الجميلة ، وجهة النظر الكلاسيكية ذات الوجه الواحد كى يتجـــه نحو العالمية . وكان العمل الرئيسى فى الجزء الاخير من حياته أن يتحول بطابعه الخاص القديم وبشعره ، ويجعل منه خميرة لادب عالمى باستعمال الانتاج الاجنبى الكبير الاختلاف الذى فاضت به قرائح الـكتاب الاجانب ، وبذلك خلق جيتـــه أدبا عالميا . صار للالمان فيه دور كبير الاهمية .

وكان هو نفســه واثقا كل الثقة من أنه قد قدم بالفعـــل جانبا رئيسيا فى هذه الناحية ، وساهم فى هذا البناء الروحى . ولكنه حذر أيضا من الاعتماد كلية على العناصر الاجنبية دون تمييز ، اذ انها قد تتسبب فحسب فى تدهور الادب ، كما أنه حذر أيضا من البحث بحثا سطحيا عن موضوعات غريبة ــ الامر الذى يبدو جديرا بالتقـدير كل التقدير نظـرا لاتجاه الالمان فى ذلك الوقت الى الفكر الاجنبى .

الرومانتيكية وهن

وكره جيته فى هذه الحقبة أيضا كل المبهمات والهيوليات . مما ادى الى أن يزداد غلظة فى معارضته للرومانتيكيين ، الذين بداوا يفقـدون خطوة خطوة الاســاس الحقيقى الذى قامت عليه اتجاهاتهم ، ومن ثم اتخذوا لانفـسهم ميولا صـــوفية خالصة .

وعلى ذلك ، اعتبر شاعرنا « الطبيعيات » هى الاصوب ، واعلن أن « الكلاسيكية وحدها هى الاصح ، أما الرومانتيكية فوهن » .

وفى قصيدة « عند الشراء Auf den Kauf » أنكر جيته الميول الجديدة التى لم تكن تهدف الا الى اختلاط الارواح وعدم القدرة على خلق اية عظمة . وادى ذلك الى اثارة غضب الاخرين عليه ، ومن ذلك ان الرومانتيكيين قالوا قولتهم التى سرت بسرعة بين الجميع ، وهى أن « جيته قد شاخ » اما هو فقد راى ان يغض النظر عنهم !

الكبير يخسر دائما

وزادت الوحدة من احكام تضييق الحصار من حوله ، ذلك انه كان قد فقد — على مر الزمن — كل اصدقاءه الكبار ممن كانوا يفهمونه ، فضلا عن انه لم يسع فى ذلك الوقت الى ايجاد علاقات طيبة مع معظم معاصريه الصغار .

ولكن هذا لا ينفى انه استقبل فى سنته الاخيرة كثيرا من الزوار ، وانه قد انهالت عليه آيات التقدير السامى والتكريم العالى من كل انحاء العالم ، الا ان ذلك كله لم يكن ليعوضه عن فقدان اصدقائه الذين يفهمونه ، بل كاد أن يصبح هو المعطى على الدوام ، بينما لم يتلق شيئا لذاته اللهم الا فيما ندر .

ويقول جيته فى أمثاله المنثورة Prosasprüchen : « من اعظم قوانين البشر أن الكبير يخسر ، اذ انه لا يكون بعد ذلك موضع حكم أنداده » . واذا كان جيته قد كبر على عصره فى هذه الناحية ، الا انه لم يكن الرجل الذى دفع الاتاوة « للزمن » واقلع بشراعه قبل المحدثين ، وهو يشعر كما لو أنه أقام

الصـــــــورة التى ولدها « فى عين شيفر In Chifers Quell » الذى اجتذب اليه على الدوام دوائر اكبر واكبر .

ومن الناحية الجثمانية ، استطاع جيته منذ سنة ١٨١٩ ان يسيطر على جميع قواه ، وهو الامر الذى تثبته الصـور التى سجلها له معاصروه . ولا عجب فى ذلك ، فقد انعشته الرحلات التى كان يقوم بها سنويا الى اماكن المياه فى بوهيميا ، ونجحت بالفعل فى تجديد نشاطه .

جولة فى الربيع

وفى سنة ١٨٢٠ ، خـرج فى اليوم الثالث والعشرين من ابريل من بينا قاصدا كارلزبات . وفى اثناء الطريق الذى سلكه اليها عبر فونزيدل Wunsiedel ، شغل نفسه بملاحظة الظروف الجيولوجية ودراسة كيفية تكون السحب .

وفى اليوم السادس والعشرين من الشهر وصل الى ايجر ولما بعث بجـواز سفره الى الشرطـة ، حمـله اليـه جرينر Grüner مستشـار البلدية الـذى كان من المهتمين بعلم الجمال والبحـوث العلمية . وهكذا نشأت بين الرجلين علاقات من الود والصداقة عادت على ابحاث جيته فى العلوم الطبيعية بنفع كبير فى الوقت الذى افادت جرينر ذاته فى مجال الفنون الشعبية (الفولكور) .

وسمع جيته من الاستاذ ديتريش Dietrich ومن ناظر مكتب البريد فى آش Asch عن مكان جديد لينابيع ميـاه تقع الى الجنوب الشرقى من ايجر ، وعرف ان هذا المكان قد هجره الناس بسبب زحف المستنقعات عليه . وهكذا شـعر جيته برغبة فى رؤية هذا المكان ، فاتجه فى السابع والعشرين

من ابريل الى مارينبات Marienbad . واخذ يرقب بحبور ما حدث من التقدم فى هذا العمل الثقافى ، وراح يقارنه بالتعمير الامريكى للغابات المتخلفة . وفى الواقع ان خلق مارينبات انما كان يرتبط بالنشاط الحيوى للاسقف Abtes Reitenberger رايتنبرجر (من تبل Tepl) الذى جمع هناك بين زراعة الارض والعقيدة ، وتعهد النبات والبناء الروحى والمادى على السواء .

وتحول جيته بعد ذلك الى كارلزبات ، حيث اجتمعت حوله ثانية مجموعة ضخمة ، وتقبلت روحه دوافع ومشاعر جديدة . وشغل الشاعر نفسه ـ فى ذلك الوقت ـ بدراسة طبيعة اقليم ايجر بصفة اساسية. ولقد ادرك جيته أن التربة فيها انما ترجع فى تكونها الى اعماق المحيط ، ولكنه ظل امام لغز محير غير قابل للحل ، الا وهو تلك المركبات البركانية الموجودة فيها ـ الامر الذى جعله يهتم بهذا الموضوع ويقوم بدراسته دراسة تفصيلية واهتم بفحص كامربيل Kammerbühl قرب ايجر . ومن ثم اشترك جيته بقسط كبير فى الكشف العلمى عن هذا الاقليم .

واستطاع الشاعر الالمانى الكبير أن يؤثر كذلك فى الكونت شتيرنبرج Graf Sternberg الذى كان قد تعرف به قبلا فى بوهيميا Böhmen . واهتم جيته اهتماما زائدا بدراسة شعب المنطقة والعادات الالمانية القديمة فيها ، حتى أنه حضر مرة حفل زواج قروى . والف أغنية لاحتفال القديس يوحنا فون بوموك Heiliger Johannes von Pomuk الذى كان يكرمه الناس ويعتبرونه راعى البلدة . وفى برلين قام تسلتر Zelter بوضع موسيقى هذه الاغنية .

وجـــدير بنا ان نلاحظ كيف انتعش جيتـــه ثانية فى بوهيميا ، وكيف استمتع بصحبة الاصدقاء ، تاركا حيـــاة العـــزلة والتفرد التى كان يحياها فى فايمار . ولـكنه لم يضع وقته كلية فى الاجتماع بصحبه ، بل اشـــتغل فى الوقت ذاته بوضع بعض الاضافات للديوان ، وببعض الكتابات عن حياته ، فضلا عن بعض الحكايات القصيرة التى ضمها الى « ســـنى تجوال فيلهلم مايستر » التى صـــدرت للمرة الاولى فى ســـنة ١٨٢١ .

وبالاضـافة الى ذلك ، قدم جيته مقطوعته الشعرية « نغم الرحال Reisesegen » التى عاد فصاغها وزاد من حجمها نسبيا فيما بعـد . وضع الشـاعر ايضا « Zahme Xenien اكزينين انوديع » ، وجمع اجزاءها فيما بعد واعدها للنشر ، فظهرت للناس فيمابين سنتى ١٨٢١ ، ١٨٢٣ .

وكتب الشاعر علاوة على ذلك الثلاثية الهندية « باريا Paria » التى تقـــوم فى اساسها على الاعتقـاد فى تحقـير الباريا ، اذ ان الله ــ باعتباره خالق العالم وحافظه ــ لن يرد عنه أحدا ، بل سوف يجد الخلق بابا مفتوحا اليه دائما .

وفى ذلك الوقت ، عاد جيتـــه مـرة اخرى الى كالديرون Calderon الذى كان قد اراد من قبـــل ــ وفى ســـنة ١٨٠٧ على وجه التحـديد ــ ان يقلده فى مأساة مسرحية ، الا انها بقيت غير كاملة . وعكف على قراءة القصص التى كتبها هذا المؤلف الرومانتيكى الاسبانى ، وذلك فى اثناء اقامته ببوهيميا فى صيف سنة ١٨٢١ .

صناديق ملأى بالصخور

وفى تلك السنة ، ذهب جيته للمرة الاولى للاستشفاء فى مرينبات حتى يلقى نظرة على المادة العلمية الجديدة . واشتغل الى جانب ذلك بعلم التعدين ، وراح يفحص أنواعا مختلفة من الصخور ويسجل أوصافها ، وذلك فى الفترة ما بين ٢٩ يوليو و ٢٤ اغسطس . وحمل الشاعر العلامة معه عند عودته من بوهيميا الى فايمار عدة صناديق ، كانت كلها ملأى بعينات من هذه الصخور .

آماليا فون ليفيتسوف

وفى مارينبات ، التقى ايضا بعائلة البارون فون بريزيجكه Freiherrn von Brösigke التى كانت قد هاجرت من ساكسونيا Sachsen .

وكان جيته قد تعرف بالفعل قبل ذلك بسنوات بآماليا فون ليفيتسوف Amalia von Levetzow الابنة الوحيدة لبريزيجكه ، اذ كانت من المعجبين بشعره . هذا فضلا عن كونها سيدة مجتمع لها خبرتها بطرق الحياة ومسالك العالم .

وكانت آماليا قد وصلت الى مارينبات فى ٣٠ يوليو ، تصحبها ابنتها الكبرى أولريكه Ulrike von Levetzow فون ليفيتسوف التى لم تتعد السابعة عشرة من عمرها فى ذلك الوقت . وكان يرافقهما ايضا والدى آماليا . وأمضى الجميع فصل الصيف فى مارينبات .

ولما كان جيته يقطن نفس ذلك المكان ، فقد تم التقارب فيما بينهم تلقائيا ، كذلك ساعدت النزهات العادية وليالى

المجتمع على أن تجمعهم فى محيط أوسع . ولقد حرص جيته على ألا يغيب عن هذه السهرات قط .

أولريكه العزيزة

وكانت أولريكه فى أثناء الشتاء السابق ، تدرس مع شقيقتيها اللتين تصغرانها فى مؤسسة تربوية خاصة ، حتى اذا ما أقبل الصيف قدمت الى هذا المكان لتستمتع بقضاء اجازتها الصيفية فحسب . واستطاعت اولريكه أن تفتن المحيطين بها ، بما تميزت به من طباع مرحة لطيفة . وكان جيته ينادى اولريكه « ببنيته العزيزة Liebes Töchterchen» وداوم على ان يسليها بالتحدث اليها عن النباتات والمعادن . وقبيل رحيله عن مارينبات اهدى اليها كتابه «سنى التجوال» تخليدا « لذكرى صداقة اغسطس ١٨٢١ » .

وفى الربيع التالى ، بكرت السيدة فون بريزيجكه بدعوة الشاعر اليها ، وقدمت له بيتها ليسكن فيه . وهذا البيت ذاته هو الذى حول فيما بعد الى Klebelsbergsches Hotel فندق كليبزبرج واتخذ جيته لنفسه الغرفة ذات الشرفة فيه .

وعندما وصلت السيدة فون ليفتسوف ومعها بناتها ، تبطدت العلاقات فيما بينهم عن ذى قبل ، واتصفت بصراحة ومودة فاقت ما كانت عليه فى السنة السابقة . وكثيرا ما كانت الاسرة تجتمع على الشرفة وعند « البئر » . وصارت العائلة كلها عزيزة عليه ، واصبحت لاولريكه منزلة خاصة فى قلبه . ومن ثم قدم لها الجزء الثانى من « الشعر والحقيقة » وسجل اهداءه اياها بأشعار تخلد ذكرى الايام اللطيفة التى قضياها فى مارينبات وتتضمن رجاء لها بأن لا تنساه . وكانت من عادة

جيته أن يهدى بعض الاشخاص قطعا شعرية صـــغيرة على سبيل الذكرى .

وفى بوهيميا وضع جيته عدة قصائد تتفق والمناســبات التى كتبت فيها ، كما اعتاد ان يفعل وهو على ضفاف الماين والراين . واتصف البعض من قصائد المناسبات هذه بالشاعرية اتحقة . وان لم يك ذا اهمية كبرى . وفضلا عن ذلك ، فنجد بين هذه القصائد ذاتها شيئا آخر ارتفع على المستوى العام لمثل هذا الانتاج .

وفى ٢٤ يوليو ذهب الشاعر الى ايجر ، ومنها اتجه الى الشمال عبر جبال زاكسين ، ومن ثم اتجه الى الغرب حيث فالت زاسين Waldsassen وردفيتس Redwitz كى يتابع بحاثه فى العلوم الطبيعية من ناحية ، ولزيارة الشخصيات البارزة من الناحية الاخرى .

واثرت أولريكه فى جيته تأثيرا قويا فى هذه المرة ، وبدا ذلك فى أشـــعاره « قيثارات ايوليا Aeolsharfen » التى يقارنها فيها بايريس Iris .

أشعار وبحوث .. وحب

وفى صيف سنة ١٨٢٣ ، ازدادت شدة هذه المشاعر التى كان يحبسها فى نفسه ، من قبل فى حذر فائق ، فقـــد جاء الشاعر للمرة الثالثة والاخيرة للاستشفاء فى بوهيميا بعـــد ان زاح عن جسمه ذلك المرض الذى كان قد اصابه .

وفى ٢ يوليو ، وصل جيته الى مارينبات قادما من ايجر ، واتخذ لنفسه سكنا فى الكروم الذهبية Goldenen Traube

فى مواجهة بيت بريزيجكه . ووصلت السيدة فون ليفنسوف بالفعل فى الحادى عشر من يوليو .

ولقد لوحظ ان جيته كان منهمكا فى البداية فى أعماله الشعرية وابحاثه فى العلوم الطبيعية ، الا انه انخرط بعد ذلك فى المجتمع الذى استولى على كل وقته دون ان يترك لاعماله وابحاثه لحظة .

وجاء فى هذه الفترة الى البلدة كل من العاهل الكبير كارل أوجوست ولودفيج Ludwig ملك هولندا السابق ، والكونت كليبلزبرج ، وعديد من الشخصيات المرموقة عامة . ومن ارستقراطيى بولندا خاصة . هذا فضلا عن وفرة من السيدات .

واستطاع جيته ــ الذى كان قد جاء غير قادر تقريبا على ان يعيش فى « حمام العذراء المقدسة » ــ ان ينفض المرض عن نفسه هنا تماما بحيث امكنه على الفور ان يتابع الحيـــاة الاجتماعية بمطالبها كلها ، والاغرب من ذلك انه راح يرقص فى حفلات الشاى .

وجاء فى رسالة بعث بهـــا شاعرنا الى تسلتر المؤلف الموسيقى والملحن ، انه قد امضى وقته فى مارينبات « مرحا دون أدنى متاعب ، نعم مرحا تماما كما لو كان قد عاد الى الحياة من جديد » .

حب الساحرة

وزادت صلاته الودية باولريكه حيث اجتذبته اليها تماما وصارت ذات سلطان دائمى كبير عليه . واستغل جيته من ناحيته كل مناسبة ليتصل بها ، وقد سجل فى اشعاره كثير

وهناك وصل ما تهدد بالانقطاع من علاقات مع العائلة الحبيبة وصاروا فى كثير من الاحيان يقومون برحـــلات خلوية ، او يحضرون الحفلات الاجتماعية . وفى الحفل الراقص الذى أقيم فى ٢٧ اغسطس ، تجمعت حول جيته أجمل الفتيات ـ وذلك عندما جاء الدور على السيدات لاختيار شريكهن فى الرقص .

وفى اليوم التالى ، ذهب مع العائلة الى البوجن Elbogen ليحتفل بعيد ميلاده بعيدا عن الضوضاء . وقدمت له الاخوات كوبا زجاجية بأسمائهن ، حتى يحتفظ بذكريات الايام اللطيفة .

وداع

وفى اليوم الخامس من سبتمبر رحل ثانية الى ايجر بعد وداع مرير . وهناك كرس وقته « لمراثى MarienbaderElegie مارينبات » التى تحدث فيها عن تجربته الاخيرة ، وعبر فيها عن حزنه على السعادة التى مرت به ، بشاعرية عاطفية قوية . ولكن الشاعر يحس مع هذا الاسى العميق بالعزاء اذ انه بدأ يتسامى بنفسه ويرتفع بذاته الى الله « الخالد الذى لا اسم له » ، وفى الشعور الدينى وفى الخضوع لما لا حيلة لتغييره ، ذلك الذى « نسميه ورعا » .

ثلاثية الآلام

وهكذا تغنى جيته فى ايام شيخوخته بالاحزان المنبعثة من روحه ، ولم يعد يرى اولريكه التى كانت لاتزال تعيش حتى ذلك الوقت بقصرها فى بوهيميا . وبعد أن كان يسميها فيما مضى بالساحرة أصبح يسميها اليوم بالتى تهب الحب .

وقد اضاف جيته هذه المرثية فيما بعد الى عملين من اعماله السنوية ، وجعل منها « Trilogie der Leidenschaft

ثلاثية الآلام » وتبدأ هذه الثلاثية بقصيدته « الى فيرتر An Werther » (١٨٢٤) التى كتبها بمناسبة ذكرى نشر كتابه « فيرتر » . وتتبعها هذه المرثية ، ثم تأتى بعدهما مقطوعته « عزاء » التى مر بنا ذكرها .

وفى الواقع انه لا سبيل الى انكار أن مشاعر جيته واحساساته فى هذه المسألة القلبية الاخيرة كانت أقل عاطفية من ذلك الذى نحس به عندما نقرأ ما عبر به عن مشاعره فى « المرثية » . ومن هنا يتضح لنا ايضا مدى التأثير القوى الذى تركته فى نفسه الاشعار الملتهبة التى وضعها اللورد بايرون Byron .

الوحدة

وبعد عودة جيته ، اعتكف ثانية فى حجرته التى كانت تسمى « كهف عناق الارض Dachshöhle » (١) .

وتابع أعماله ودراساته بكثير من المثابرة والنشاط ، حيث كان فى حاجة ماسة للراحة والتركيز ، وخاصة بعد ذلك التشتت الذى كان يعيش فيه فى اثناء الرحلة الاخيرة .

وفى أكتوبر زارته السيدة سيما نوفسكا ، وأثارت كوامن نفسه ثانية ، ولكنه كان عندذاك اكثر شعورا بالوحدة والابتعاد عمن حوله . ومع ذلك فقد استطاع أن ينسج الخيوط الروحية فى كل الاتجاهات المحيطة به . وعكف على القراءة لفترات طويلة ، وشغل نفسه بالاشعار البوهيمية والصربية ،

---

(١) عناق الارض حيوان من عائلة الثعلب يعيش فى أوروبا ، ويستعمل شعره بصفة خاصة فى صناعة فرش الحلاقة .

واليونانية الحديثة ، والليتوانية ، والانجليزية ، والرومانية . وترجم وفرة من الاشعار القيمة فيها . كذلك تابع باهتمام تلك الاعمال الجرمانية التى خلفها الاخوان جريم Grimm مؤسسا ابحاث اللغة الالمانية .

وهكذا ظل يعمل فى كل الميادين رغبة منه فى أن يحث الناس على الاعتراف بأنه ـ على مر الايام ـ سيتكون ادب عالمى من تلقاء ذاته ، يكون للالمان فيه دور كبير ـ الامر الذى جعله يهيىء شعره الخاص لهذا الغرض ، فتعددت جوانبه وذاعت بذلك شهرته الى أوسع نطاق حتى انه راح يتسلم من كافة انحاء العالم الثقافى صنوفا عدة من الانتاج الروحى كان يقف هو منها موقف القاضى المرموق والحكم السامى ، فصار بذلك كأنه « حاكم الروح الشاعرية على الارض » ـ كما قال نوفاليس Novalis .

تمثال للشاعر فى فرانكفورت

وفى يوليو ١٨٢٤ ، زارته بيتينا برنتانو ـ التى صار لقبها فى ذلك الوقت البارونة آرنيم Arnim ، وذلك بعد أن انقطعت عنه فترة طويلة ، فاقامت بذلك أمتن حلقة اتصال بين جيته والرومانتيكية ، ومدينة أبيه .

وعرضت بيتينا عليه رسومات لتمثال يقام فى فرانكفورت ويمثل جيته فى شكل وقور ، ولكنه اعتذر بلباقة عن قبول هذه الفكرة التى لم تكن تتفق والمزاج الذى كان يسيطر على الالمان فى ذلك الوقت . كذلك أدى الى فشل هذا المشروع ، ما كان يسود لدى الالمان من اتجاهات ضد هذا « العبقرى غير الوطنى » . ولم يقم فى فرانكفورت الماين تمثال لجيته الا ذلك الذى أتمه شفانتهالر Schwanthaler فى سنة ١٨٤٤ .

To: www.al-mostafa.com

وسيطر حقد الناس على جيته حتى بين اقرب المقربين اليه ، اللهم الا القصر الذى كان يقدره حق قدره .

جيته واحد !

ومن الادلة على ذلك الرضى والتقدير أنه حدث عندما أراد مجلس مقاطعة فايمار ان يضايق جيته باعتباره « رئيس وزراء الدولة » بخصوص الحسابات التى كان ينفقها على الفنون والعلوم فى البلاد ، اعترضت الدوقة النبيلة اويزه ، وقالت « ليس لدينا الا جيته واحد ، ومن يدرى الى متى يبقى ، وربما لا يظهر جيته آخر بسرعة » . ومن ثم بقى جيته عزيز الجانب ، متمتعا برعاية مؤيديه من أصحاب المراكز الرموقة فى موطنه الخاص .

أما الجماهير التى كان يريدها جيته واقفة فى صف فنه وابتعدت عنه فكانت تستحق فى رأيه كل ما صدر عنه من عبارات قاسية عن جماهير البشر . ولقد عمل من جانبه على تفادى اثارة الشائعات من حوله ، ولذلك كان متحفظا للغاية ، وراح يتبع الرسميات فى معاملة الناس — الامر الذى جعلهم يأخذون عليه أيضا انه فخور متعجرف ، وانانى متكبر ، ووصفوه بانه ارستقراطى مزهو بذاته ، وبأنه كان مجرد خادم للامراء .

وازاء ذلك لم يكن من سبيل امام جيته الا الابتعاد عن عامة الناس ، وكفاه ما ضربه الدوق من مثل رائع للسمو العقلى الراقى وذلك فى الاحتفال بعيد ميلاد جيته فى سنة ١٨٢٥ ، اذ أمر باصدار عملة تذكارية فى هذه المناسبة ، فضلا عن أنه وجه اليه خطابا كتبه بيده قال فيه « انه يعتبر يوم دخول جيته الى فايمار ، قبل خمسين سنة ، اليوم الحقيقى

الذى بدات فيه خدماته للدولة ، ويعتبر انه من اعظم مفاخر حكومته انها اكتسبته الى الابد » .

وامر الدوق بلصق صور هذه الرسالة الخطية على اركان الشوارع فى فايمار فى السابع من نوفمبر . وما ان علم جيته بفحوى هذه الرسالة حتى قال فى تاثر عميق ، وبكلمات تنم عن مدى تقديره لاميره « انه هو ! Das ist er» .

وفى الواقع ان كارل اوجوست هو الذى تسبب فى شهرة فايمار . وان تمثاله الذى يصوره ممتطيا صهوة جواده — فى Fürstenplatz فيرستن بلاتس « ميدان الامراء » فى فايمار ليعبر بصدق عن مدى اهمية حكمه الطويل المثمر .

بين الاعمال والاحداث

ولقد عمل جيته منذ سنة ١٨٢٥ فى طبعة جديدة من « سنى التلمذة » . و فى ١٨٢٦ بدا فى كتابة الفصل الخاص بهيلانة من الجزء الثانى « لفاوست » . وفى ربيع ١٨٢٧ بدا فى حديقة بيته الهادىء على الايلم اشعاره التى اوحى اليه بها ما تتميز به الحقول المحيطة ببيته من الوان غنية رائعة . وقرا جيته بعد ذلك « بروميسى سبوزى Promessi Sposi » لكاتب الايطالى مانتزونى Manzoni .

ووقعت بعد ذلك مجموعة من الاحداث ذات الاهمية الكبرى فى حياة جيته . ومن ذلك انه اجتمع فى سنة ١٨٢٦ مع جريل بارتسر Grill Parzer . وفى سنة ١٨٢٧ توفيت السيدة فون شتاين وتوفى صهره فالبيوس الذى كان يقدم له دوما كل ضروب المساعدة عن طيب خاطر .

وفى سنة ١٨٢٧ ايضا زار جيته لودفيج الاول Ludwig I ملك بافاريا الذى كرمه وقدره واجله كل الاجلال ، ثم امر بان يذهب الى الشاعر فى العام التالى رسام البلاط ى. شتيلر J. Stieler ليرسم صورة له فى فايمار . وفى هذه الصورة كان جيته يجلس الى المائدة ممسكا بيده رسالة الدهنئة الملكية وتعد هـــــذه الصورة بحق احسن رسم يمثل جيته فى شيخوخته .

الى قصر الاحزان

وجاءت سنة ١٩٢٨ بخسارة كبرى لجيته ، فقد فجع فى صديقه الودود واميره العطوف الدوق كارل اوجوست الذى توفى فى جراديتس Graditz نـــرب تورجاو Torgau وذلك فى طريق عودته من رحلته الاخيرة الى برلين فى اليـوم الرابع عشر من شهر يونيو .

وحدادا على الامير عاد جيته الى حياة العزلة والوحـدة فى دورنبورج Dornburg قرب يينا ــ وكانت هذه البلدة تابعة لفايمار حسب تقسيم الاراضى والقاطعات المتفق عليه فى سنة ١٦٧٢ . وقضى الشاعر الفترة ما بين ٧ يوليو و ١١ سبتمبر فى القصر المسمى بالقصر الثالث الصغير ، الذى كان قد زاره من قبل عدة مرات فى ايام احزانه وآلامه . ويطل هذا القصر على منظر جميل فى وادى نهر الساله Saale فضلا عما يحيط به من الوان الطبيعة الساحرة . وقد حفر على باب القصر باللغـــة اللاتينية ما ترجمه جيته الى الالمانية ببيتين من الشعر الجميل :

"Freudig trete herein und froh entferne dich wieder!
Wanderer, ziehst du vorbet, segne die Pfade dir Gott."

أى :

« ادخل متمتعا واخرج ثانية بهجا !
واذا مضيت ايها المجول ، فليبارك الله طرقك . »

وفى مدينة دورنبورج ، استعاد شاعرنا ثانية هـــدوء عقله بعد هذه الضربة الشديدة ، وعادت له القدرة على قول الشعر . وراح يصف البدر فى السماء ، الا أن وصفه الرائع عن « البدر الساطع Dem aufgehenden Vollmond» اختلط فيه التعبير البديع عن الاعجاب بجمال الطبيعة والليل الساحر بما فيه من متع شتى .. اختلط بالاحزان والآلام والاسى .

وبالاضافة الى ذلك وضع جيته بعض الاشعار الاخرى فى هـــذا المكان ، منها الابيـــات التى قالها لتكتب عـلى اكليل من الغار أهداه للممثل ب . ا . فولف P. A. Wolf الذى مات فى يوم عيد ميلاد جيته وهو يعبر فايمار .

سنى تجوال فيلهلم مايستر

وفى الشتاء التالى ، كان جيته قد تمالك قواه ثانية ، فراح بعد الطبع كتابه « سنى تجوال فيلهلم مايستر » الذى ظهر فى يونيو سنة ١٨٢٩ . ولا صلة لهذا الكتاب بكتابه الآخر اذ انه هنا وصف فقط — فى مجموعة صور منفصلة — ما قام به شخص أسماه فيلهلم من جولات . وليست هذه الجولات بقصـــة متكاملة فى مجموعها ، بل مجرد مجموعة من القصص أو الصور الصغيرة المسلية والهادفة الى حد ما .

ولقد شغل جيته نفسه بها منذ سنوات ، واراد ان يقدمها للمجتمعات كنوع من التسلية لما تضمنته من مرح وفكاهـــة وطرائف . وكان الشاعر قد نشر بعض اجزاء هذا الكتاب ، ومنها

حكاية « الاحمق الجوال Die pilgernde Thörin » التى طبعت قبل ذلك بوقت طويل . واضاف جيته لكتابه البعض الآخر فى اللحظات الاخيرة ، مستعينا بصديقه المخلص « ايكرمان Eckermann » ، مقلدا بذلك طريقة الرومانتيكية وخاصة ل . تيك L. Tieck . وليس ثمة ترابط خارجى بين اجزاء الكتاب المختلفة ، اللهم الا فى العناوين وفى فكرة الاستسلام ، بحيث تبدو القصص وفيها ترابط روحى الى حد ما . ومع احترامنا للغة التى يكتبها جيته ، الا انه علينا أن نقول ان « اسلوب جيته الشيخ » يغلب على هذه المجموعة الى حد ما ولكنه لم يسد كل اجزاء هذا العمل .

ومن بين احسن قصصه واكثرها ترابطا وانسياقا قصة « الفتاة السمراء Das nussbraune Mädchen » التى نشرها فى يوميات ليوناردو Leonardos Tagesbuch ، و « مياوزبنه الجديدة Die neue Melusine » و « رجل الخمسين Der Mann von fünfzig Jahren » . ومع انه لا يمكن ان يعتبر القسم القصصى ناجحا تماما ، فلا يجرؤ امرىء الا ان يقف وكنه اعجاب بما تضمنه الكتاب من حكم عميقة اودعها جيته بنظام رائع فى كتابه كما لو كانت مودعة فى سجل المحفوظات . واذا اخذنا فى اعتبارنا هذه الناحية ، فيمكننا ان نحتمل قصص « منطقة التربية » التى تبعد كلية عن روحنا الحديثة ونعتبرها محتملة ومقبولة مع انها مملة .

عيد ميلاده الثمانين

وقد احتفل جيته بعيد ميلاده الثمانين فى عزلة تامة ، ولكن هذا لا يمنع من انه تلقى الكثير من التهانى التى بعث اليه بها البلاط ، وعديد من تهانى المعجبين سواء منهم القريب او البعيد .

وكذلك قطع عليه عزلته هذه بعض الاشخاص الذين زاروه بهذه المناسبة ، وفى مقدمتهم الروائى البولندى آدم مينسكييفيتش Adam Mickiewitcz الذى جاء اليه حاملا كتاب توصية من حماته السيدة ماريا زيمانوفسكا . وبقى الكاتب البولندى اربعة عشر يوما فى فايمار . وكان جيته قد استمع من هذه السيدة الى ترجمة لبعض اجزاء من روايته « كونرات فالنروت Konrad Wallenrod » فلما استقبله جيته ، وكان فى صحبة المؤلف صديقه اوديئييتس Odyniec، بدأ الحديث بينهم باللغة الالمانية مما يعد بلا شك اعتزازا وتفاخرا من جيته بلغته الالمانية ، ولكن ميتسكييفيتش اعلن انه — ولو انه يفهم الالمانية ويستطيع التعبير عن نفسه بها — الا انه لا يجرؤ على الكلام بها أمام اعظم المانى . ومن ثم انتقل الجميع بحديثهم للغة الفرنسية وواصلوا مناقشاتهم بها ، وتحدثوا عن الادب البولندى والفرنسى .

وكان من اللطف الاحداث التى وقعت فى هذه الفترة ان دوق مكلنبرج — شتيرليتس Mecklenburg-Sterlitz اشترى ساعة انصالة التى كانت فى بيت والد جيته ، وعمل على وضعها سرا فى بيت جيته ، فلما اشرق يوم عيد ميلاده ، ادهشه ان يسمع دقاتها المعروفة له تماما . وراح اهل فرانكفورت انفسهم يتناقلون الاخبار المماثلة عن كيفية تكريم جيته .

زيارات وصداقات

وفى سنة ١٨٢٩ زار جيته ايضا الشاعر السيليزى كارل فون هولتاى Karl v. Holtei ، وجون فوربس الانجليزى John Forbes (المتوفى فى ١٨٩٩) وعازفة البيان الشهيرة كارولينه برتهالر Karoline Perthaler ، وفى سنة ١٨٣٠

زاره Felix Mendelsohn Bartholdy فيليكس مندلزون — بارتولدى .

ولكن هذه السنة كانت أسوأ الاعوام التى مرت بحياة جيته ، ففى ١٤ فبراير اغمضت الدوقة العظيمة عينيها الى الابد . وفى نهاية اكتوبر توفى ابنه أوجوست اثر صدمةعصبية ذرعجه ذلك للغاية حتى انه اصيب بصدمة كادت أن تصل به الى حافة القبر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٣٠ . ولكن طبيعته الصلبة مكنته مرة أخرى من التغلب على الضعف الجثمانى الذى أصابه ، وعاد ثانية الى العمل والانتاج .

وفى شهر يولية من سنة ١٨٣١ ، اتم جيتهتسجيلتاريخ حياته ، كما انتهى من وضع باقى « فاوست » التى كان يعتقد انها العمل الاخير الذى يختتم به حياته ، واعتبر جيته الايام التى قد تكون له بعد ذلك فى هذه الحياة مجرد منحة يقدمها له القدر الرحيم .

فاوست

وفى الرسالة التى كتبها جيته فى ١٧ مارس ١٨٣٢ الى فيلهلم فون هومبولت ، اكد الشاعر أن فكرة « فاوست » انما كانت واضحة لهتماما منذ البداية اى قبل ستين سنة ويزيد . ولكن العمل فيها تعثر غير مرة طوال هذه الحقبة من الزمان بسبب المشاغل والاحداث التى مرت به . وكان كلما اراد مواصلة كتابته اياها ، احس بالفشل والخوف من الا يبقى لهذا العمل قوة وحدته عامة ، أو وحدته من الناحية الاسلوبية على الاقل .

ولما كان الشاعر قد غير الخطة التى كان قد رسمها ، وتنقل بين اعماله يشتغل هنا وهناك ، فضلا عن أنه قد غير

آراءه مع التغيرات النفسية التى مرت به وبآرائه الفنية .. فقد أدى كل ذلك الى استحالة المحافظة على وحدة الموضوع .

ومن بداية قصة فاوست الاصلية حتى اتمام العمل كله حدث تداخل كبير ، ادى الى ان الشاعر اضطر الى الاستعانة بكل خبراته فى « الاهداء » وفى المقدمة التى وضعها عن المسرح و « فاتحة فى السماء » .. بغية الابقاء على وحدة الموضوع كفكرة .

قصة الجنس البشرى

وليست قصة « فاوست » هذه الا قصة الجنس البشرى ، تناولها جيته تناولا فلسفيا ، فلم تخرج رواية مسرحية بمعناها العام ، بل كانت شعرا عالميا ذا اهمية تاريخية عالمية ، تضمنت كل تجارب البشرية . وينقسم هذا العمل الشعرى الى قسمين يسير كل منهما فى خط مواز لذلك الذى يسير فيه الاخر ، فالجزء الاول يأتى بصفة اساسية « بمأساة المرأة Tragödie des Weibes » ، وذلك فى عرض مؤثر . وفى ذلك الجزء لا يلعب فاوست الدور الرئيسى ، بل لعبته الفتاة « جريتشن Gretchen » التى كانت حالها تدعو للاسف والحزن .

وفى التقديم الذى القاه فاوست بمفرده بأسلوب هانز زاكس Hans Sachs ، يبدو الدكتور فاوست كرجل علم ، أقرب الى الشيخوخة منه الى الشباب ، ولذا فقد تملك اليأس نفسه وصار يائسا من ذاته ومن معارفه ، يقبع فى قاعة مكتبه التى تتميز بما فيها من اقواس قوطية عالية ، وبما تضمه فى طياتها من الكتب وما خلفه له الاجداد والاسلاف من آثار منزلية . ومع انه قد درس الكليات الاربع جميعها الا أنها لم

تشبع نهمه للعلم والمعرفة ، وانما قادته الى الايمان بما كان سقراط قد قاله من انه لا يمكننا أن نعرف شيئا . وظل هذا « يحرق قلبه تماما » ، ومن ثم راح يحاول أن يصل الى غرضه عن طريق السحر ، وان ينفذ الى اسرار الطبيعة ، ويشتغل بالسحر الارضى ـ باعتباره القوة الخلاقة الخالدة فى الطبيعة . ولكنه لا يستطيع ان يبثها القدرة ، اذ انه ـ وهو المخلوق ـ لا يمكن ان يشبه الخالق . وهنا يؤكد له مساعده فاجنر ـ الذى يدعى العلم ـ انه ليس الا قزم صغير أو طفل وليد فى هذا الكون ، وانه لن يستطيع ان يشبع طموحه ورغبته . ومن ثم يقرر ان يضع حدا لهذا الوجود المؤلم .

وفى هذه اللحظات ترتفع اجراس عيد الفصح ، فتتنادى منه الاعماق ، وتعود به الى ذكريات الشباب السعيدة ، وتجذبه الى الحياة ذاتها . واحس فاوست بالوحدة اذ كان ينقصه الايمان المقدس .

وهكذا خرج فاوست مع فاجنر فى يوم عيد الفصح الى انهواء الطلق ، ولكنه لم يشعر بالسعادة او يحس بالراحة . وراح يختلط بالناس الذين تملأهم الفرحة والغبطة دون ان يجد معنى لسرورهم وبهجتهم .. ذلك ان « صدره كان يضم روحين » ، ولم يسمح له الصراع الداخلى بان يتمتع بأية تسلية .

وهنا تظهر له كلبة سوداء تجرى بين المحاصيل والاعشاب ، وراحت تقترب منه فى دوائر ، فأخذها فاوست معه الى البيت . وعندما بدأ فى قراءة انجيل يوحنا بصوت عال ، اتخذت الكلبة وضعا أثار انتباهه . ومن ثم اعتقد فاوست انها شبح يتقمص صورة الحيوان ، فسحرها . وهنا يأتى مفيستو من خلف الموقد فى صورة عالم متجول ، وهو يمثل الروح الشريرة

الضالة ، ولا يريد دوما الا الشر ، ومع ذلك يخلق الخير . ومن ثم ، فانه لا يبدو حرا فى عمله ككائن جهنمى . وقد استعمل السحر فى ان يخرج فى هذه المرة من حجرة فاوست ، فاطلق دخانا أزرق امام ارجل العالم الساخر ، واختفى تماما تحت حماية الاشباح غير المنظورة .

ويرى فاوست نفسه امام كل هذا ، ولا حول له ولا قوة . ويقع من جراء ذلك فى حسرة شديدة وألم دفين . ويظهر مفيستو بعد ذلك فى شكل شاب وسيم نبيل ، يعرض على فاوست خدماته . وينتهيان الى الاتفاق على ذلك العقد المعروف بينهما ، الذى يشبه الرهان فى مظهره ، وينص على انه اذا استطاع مفيستو أن يحقق اطماع فاوست ، يصبح الاخير ملكا له .

وبعد ان تحادث مفيستو مع العالم بطريقته الشيطانية ، قام هذا المضلل بجولة معه فى انحاء « العالم الصغير » ، فذهب فى اول الامر عبر الهواء الى مطعم اويرباخ Auerbach's Keller حيث يجتمع التلاميذ ، ولكن فاوست لم يجد لذة فى صحبة هؤلاء الشبان السطحيين . ومن ثم جدد مفيستو له شبابه فى مطبخ الساحرة ، وجعله قابلا لاغراءات الحب . وبعدئذ أحضر اليه مفيستو ماجى Maggy الجميلة ، التى كانت بين يدى الساحرة العجوز مارتا شفيرتلاين Martha Schwertlein ولم يكن من الصعب أن تسقط هذه الفتاة .

ويفرد جيته الجزء الاول كله من فاوست لمأساة هذه الفتاة المسكينة ، مما لا يمكننا الاستطراد فى توضيحه هنا نظرا لضيق المجال . ويكفى أن نقول ان الطريقة التى تناول بها الموضوع تترك أثرا حقيقيا خالصا بما سجله فيها من حوادث متغيرة وتطور فى المأساة .

وتعد ماجى ذاتها أكثر الشخصيات الروائية ـ التى خلقها جيته ـ فى صدقها ومطابقتها للطبيعة بدرجةتقرب من الكمال.

صحيح ان الفتاة المضللة سمت أمها ، وكانت سببا فى قتل اخيها ، وفى النهاية قامت بقتل طفلها أيضا ! ولكن الثمن الذى دفعته مقابل ذلك كان ثمنا كبيرا فادحا يتعادل وجسامة الجرائم التى ارتكبتها .

ويأتى مفيستو بفاوست الى سهرة ليلية معربدة على جبل بروكين Brocken وذلك بقصد التسرية عنه ، الا أن فاوست يشعر بوخز ضميره ورغبته فى تحرير ماجى التى تقبع فى غياهب السجن منتظرة الجلاد ليضع حبل المشنقة حول عنقها .

ويقابل فاوست ـ فى « مشهد السجن » المؤثر ـ الفتاة المسكينة وقد أصابها مس ، فصار كل همها أن تكفر عن جريمتها بالموت ، ولم تعد تريد ان تسير بعد ذلك وراء فاوست .

وبهذه النهاية يختتم جيته الجزء الاول من « فاوست ».

العالم الكبير

أما الجزء الثانى ، فوضعه فى خمسة قطع أكبر يقال لها فصول . وهى تشبه الى حد كبير الجزء الاول ، وتعرض طريق فاوست خلال « العالم الكبير » .

وعلى العكس مما تميز به الجزء الاول من واقعية ، فان الجزء الثانى يعرض امامنا احداثا مجازية ، تضيع احيانا فى مجردات خالصة حتى ان الكثير منها يشار اليه رمزيا فحسب ،

ولم يكن من الممكن استعمالها فى مجرى الاحداث الا بصعوبة بالغة . وقد حشد جيته فى هـــذا الجزء « كثيرًا جـــدا من الاسرار » ، واستعمل فن الشعر بأعرض ما فيـــه لادخال الاغـراض الشعرية المختلفة فيـه . وهكذا صـار الجـزء الثانى من فاوست لا يحتفظ من الشكل الروائى الا بالهيكل الخارجى فحسب ، مما يجعل عرضه على المسرح أمرا تحف به من الصعاب مالا حد له . وربما لم يفكر الشاعر نفســـه قط فى عرض هذا العمل الشعرى على المسرح .

وقد ملأ الشاعر الفجوة الواضحة فيما بين القسم الاول والثانى بما كتبه عن ذلك النـــدم واليأس الذى يستشعره فاوست ، حيث يعترف بالخطيئة التى ارتكبها ، ولكنه يلقى نفسه مرتبطا بمفيستو بالعقد المبرم بينهما ، فضـــلا عن انه لايود أن يتخلى من جانبه عن « اطماعه » ، وان كان قد حولها ـــ منذ ذلك الوقت ـــ الى اتجاه آخـــر غير ذلك الذى كانت تسير فيه من قبل .

وعندما يستبد القلق والتعب بفاوست ويهفو الى النوم والراحة ـــ كما يبدو فى بداية الفصل الاول ـــ يستلقى فى أحد المراعى الملأى بالزهور ، وترفرف من حواليه أشباح الطبيعة الفاتنة لتهدئه وتسكنه ، وهكذا يعود الى الحياة وقد استرد نشاطه وحيويته . ويبـــدو فاوست مع مفيستو فى القصر الامبراطورى حيث يحاول أن يجعل من نفسه رجلا مفيدا بعد أن يجد أن الامبراطور ليس فى مقدوره أن يتصرف فى المشاكل العديدة التى تواجه الامبراطورية ، وخاصة ذلك النقص العام فى الاموال الذى يتسبب فى شل كل ميادين النشاط هناك . ويخترع مفيستوفوليس ـــ الذى اخـذ فى ذلك الوقت مـكان مضحك الملك ـــ أوراق النقد ، بينما يقوم فاوست بمهمـة تسلية البلاط بالاعيب سحرية شيقة . ومن ثم يصـل الى

العظمة والابهة ، ويصبح ذا حظوة لدى الامبراطور الذى يبدى رغبته فى مجرد رؤية ذلك الزوج العتيق من المحبين « باريس وهيلينا Paris und Helena » اللذين نروى الاساطير قصة حبهما . وتخون فاوست حيله والاعيبه ، ولا يستطيع تحقيق هذه الرغبة على الفور . ومن ثم يذهب — بناء على نصيحة ذلك الشيطان « المسيحى » الى الامهات Mütter — التى كانت الاساطير اليونانية تقول انها تسيطر على العالم السفلى . وينجح بأسحاره فى استحضار هذا الزوج الشهير من المحبين فى « قاعة الفارس » بالقصر . وكانت هذه الرواية قد وردت بالفعل من قبل فى أسطورة فاوست ، ثم اهتم بها جيته اهتماما خاصا فى روايته .

وتعد « هيلينا الجميلة » النموذج الاغريقى المثالى للجمال ، وهى التى تقاس بها الحياة والفن . ومن ثم ، فلا غرابة فى أن يقع فاوست فى حب ربة هذا الثقد الساحر المسحور ، ويرنو بعواطفه الى الاصل ذاته .

ويرقد فاوست على سريره العتيق فى حجرة مكتبه ويحلم بهيلينا . ويهز مفيستو « سيد الحشرات » فراء فاوست العتيقة ، فتقع منها على الفور الحشرات ، وتبدأ فى عبادته . ويدق الجرس بعد ذلك لكى يدخل المتطفلون . ويترنح نبكوديموس المعتز بنفسه والذى صار المساعد الجديد لفاوست بعد ان اصبح فاجنر خليفة لفاوست . ومن ثم يأتى التلميذ السابق وقحا مغرورا بعد أن حصل على البكالوريا وصار مثله فى ذلك كالشاب الذى يتباهى بما وصل اليه من علم .

وعندئذ يذهب فاوست الى فاجنر الذى يستعد لخلق الانسان الصناعى — وذلك فى قارورة هائلة أعدها لهذا الغرض.

وكان فاجنر يريد انسانه «رجلا صغيرا مهذبا انيقا» . واصبح هذا الانسان الصناعى الصغير دليلا لفاوست ومرشدا له فى بحثه عن هيلينا . وهكذا يأتى به فعلا الى « سهرة كلاسيكية عربيدة » على الحقول الفرزالية التى تتجمع فيهامعظم الاشباح والالهة التى تحدثت عنها الاساطير الشرقية القديمة . وتتجسد هيلينا ماديا لتقابل فاوست ـ وهكذا يتحد الكلاسيكى بالرومانتيكى .

ويضم الفصل الثالث رواية « هيلينا » التى كان جيته قد وضع هيكلها الاساسى قبل ذلك بفترة طويلة ، ولم ينتهمن صياغتها الاخيرة الا فى سنة ١٨٢٦ . وهذه الرواية فى الواقع رواية داخل الرواية ، تسير على نهج الاسلوب الاغريقى القديم فى المأساة .

ويبدو فاوست فى هذا الفصل على شكل فارس من اصحاب القلاع ، ويعين هيلينا الجميلة معاونة له فى الحكم ، ثم يتزوج منها ، فتلد له أويفوريون Euphorion الابن المجنح صاحب القيثارة الذهبية والراس الذى ينبثق عنه النور ، ولكنه لا يستطيع أن يكبح غرائزه . ومن ثم يندفع ـ كما حدث للانسان الصناعى الذى داسته عربة جالاتيه Galatee انصدفية .. يندفع للحائط المنهار من عل . ويظل ينادى أمه اليه وهو فى الاعماق السحيقة . ولم يعد لفاوست الذى خاب أمله من بعدها سوى رداء الحاكمة الحسناء .

ويمثل هذا الفصل الطويل الرابطة التى استلهمها جيته من المبدأ الالمانى فى الفن ، وذلك المبدأ القديم ، فعلى الاخير أن يمد الاول بالشكل ، ولكن المبدأ القديم لم يعد بذاته بقادر على الاستمرار وحده فى الحياة والبقاء . وتنتهى بسرعة المبالغات

التى يرمز اليها باويفوريون ، كما حدث مع اللورد بايرون الذى تلألأ كالشهب ثم انطفأ بسرعة .

ولم يجد فاوست فى طموحه « للجمال الكلاسيكى » الا القليل من الرضى والحظ المتصل ، كما يبدو فى الافعال الحسية التى جاءت فى الجزء الاول . ومن ثم ، فانه يتحول فى الفصل الرابع الى العمل الحضارى ، حتى لتبدو مجريات الاحداث كما لو كانت قاصرة عليه كلية . وسرعان ما تجىء الفرصة المواتية للعمل والخلق والابداع ، اذ كانت عملية الغش المالى قد أودت بالامبراطورية وقادتها الى التحطم المالى ، وحرمت الناس من كل ما لديهم من بضائع ومنقولات وأثاث . وتقوم الثورة التى تعين شخصا آخر من مناوئى الامبراطور ، ويقع الحاكم الاصلى فى مأزق يصعب عليه أن يخرج منه . وهنا يضع فاوست نفسه الى جانب « الحق التاريخى » ، ويفوز الامبراطور — بمساعدة مفيستو — فى المعركة الحاسمة . وفى مقابل ذلك يتلقى فاوست منحة امبراطورية فيمة هى شريط من الارض الساحلية يهبها له الامبراطور ليقوم على زراعتها .

وفى بداية الفصل الخامس ، يظهر فاوست وقد صار أكبر فى السن عن ذى قبل ، ولكنه كان منشرح الصدر اذ نجح فى عمله الزراعى . ولم يقتصر فى نجاحه على عمله الزراعى ، بل نجده يستولى على جزء من البحر يلاصق اقليمه الساحلى ، ويسس هناك ميناء فتحه للتجارة الخارجية . ويضع مفيستو نفسه وأشباحه فى خدمة فاوست ، ولكنهم لا يخلصون له كلية ، بل يعملون ضد مشيئته كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، ويعمدون الى الخطأ فى تنفيذ أوامره كلما سنحت لهم فرصة الى ذلك . وتنقلب عمليات التجارة والشحن فى الميناء الى عمليات قرصنة .

وينفذ مفيستو اوامر فاوست ، ولكن بغلظة شريرة . ويظهر هذا بصفة خاصة فى مشهد « فيليمون وباوكيس Philemon und Baucis » ، اذ كان هذان المسنان يعيشان كريمين سعيدين فى منزل صغير بملكانه ، تحيط به حديقة جميلة ، وتقبع فى احد أركانه كنيسة . وكانت دقات الجرس الصغير القائم عند رمال الشاطىء فى ذلك البيت يضايق فاوست ، ويذكره دائما بأن « سيطرته على العالم » لم تكن كاملة ، ومن ثم يقرر فاوست الاستيلاء على أملاكهما .

"So sind am härtsten wir gequält,
Im Reichtum fühlend' was uns fehlt."

اى :

« وهكذا نشعر ونحن اغنياء بما ينقصنا
ومن ثم نستشعر أشد درجات العذاب النفسى »

وكان يقابل هذا البيت الهادىء والحياة الوديعة التى يحياها فيليمون وباوكيس ، قصر فاوست الذى تمتد من حوله حديقة واسعة بديعة تخترقها قناة مستقيمة . وبهذه الطريقة أوضح لنا كيف لم تستطع الحضارة الحديثة بماحققته من انتصارات أن تجعله يحس بالسعادة النفسية !

ويزمع فاوست انشاء مرصد عال « ليشرف منه بنظرة واحدة على التحفة التى أوجدتها روح الانسان » . ويتبع فاوست نصيحة مفيستو الماهر بنقل هذين المسنين دونما خجل او وجل الى مكان آخر ، حيث اقيمت لهما ضيعة رائعة . وينفذ مفيستو الامرعلى الفور فىغلظة بادية ، ويشعل النار فى الكوخ . ويموت صاحباه المسنانمن الذعر والخوف ، كما انه يقتل احد الاجانب كان ينزل ضيفا عليهما ، وذلك عندما كان يحاول المقاومة .

ويبين هذاالمشهد أنه لو توفرت النية الطيبة فانها تفشل فشلا ذريعا بسبب الطباع السيئة التى جبلت عليهاالبشرية .

وبذلك يصبح فاوست خاضعا لالتزام جديد ، ومن ثم « يأمر بسرعة ، لينفذ أمره بسرعة » — وذلك بسبب خوفه من نتائج هذا العمل السيء ، الذى لابد وأن يدفع ثمنه .

وتلعب المخاوف بأعصابه ، ومن بين انقاض الفضيلة تطفو امامه اربعة من النساء العجائز ، وكأنها « الظلال » . وهى تمثل فى ذلك النقص ، والخطيئة ، والحزن، والشقاء . ولا تستطيع واحدة منهن الوصول اليه ، اللهم الا تلك التى تمثل البؤس ، فتعذب ضميره . وهنا ينحى فاوست كل أعمال السحر جانبا ويتسلى بفكرة المشروع الاخلاقى للكون . وينفث الحزن من نفسه عليه ، فيصبح فى وحدته أعمى ، الا أنه لا يعود الى الشكوى مرة أخرى ، بل يحس بحب البشرية ينمو فى أعماقه ، وينادى شعبه ليقوموا بالخطوة الاخيرة ، فيوجدوا للبشر مكانا سعيدا . ويضحى فاوستالذى انضجه وقومه القدر والعمل .. ويضحى بنفسه كلية لصالح المجتمع ومن أجل رفاهة الناس :

"Das ist der Weisheit letzter Schluss :
Nur der verdient sich Freiheit wie das Leben,
Der täglich sie erobern muss."

اى :

« هذه هى الخاتمة الاخيرة للحكمة :
فان ذلك الفرد الذى يستحق حرية نفسه وحياته ،
هو وحده ذلك الذى يغلبهم فى كل يوم » .

ويرد فاوست الان « أن يقيم على أرض حرة مع شعب حر » ويريد أن يقول اللحظة : « استمرى ، فانك جميلة جدا » ! ثم يهوى على الارض ويموت ـ وعمره مائة سنة ـ فى اللحظة التى يتمتع فيها بقمة اللذة .. تلك اللحظة التى يتصور فيها ما سوف يصل اليه البشر من سعادة .

وينادى مفيستو الاشباح وأرواح الموتى لتحفر قبر فاوست ، فتضع هذه جسمه الميت فى الارض . وفى هذه اللقعة ، نتذكر ثانية وأخيرا ذلك الرهان مع الشيطان .

ويموت فاوست وهو يشعر بانه فى قمة السعادة ، وذلك لما سوف يتحقق للكون فى المستقبل ، بعد أن صارت تصرفاته تنأى عن الانانية وتسعى لصالح البشرية ، ولكنه لا يعبر عن نفسه بالامر الواقع وانما بطريقة احتمالية فيقول : « ياليته يسمح لى أن اقول للحظة : استمرى ! » فقد وجد سبيله للرضى اخيرا ، ولكن بشكل يختلف عما كان قد اتفق عليه فى الماضى مع مفيستو .

وبذلك يكون الشيطان قد خسر الرهان نظريا ، رغم انه يعتقد انه كسبه . وينادى الشيطان اشباحه ليقبضوا روح فاوست ، التى كانت ترفرف هائمة .

ولكن الانغام السماوية التى تعلو عندئذ تشير الى اندوح فاوست قد انقذت ، اذ أن ذلك الذى تكون له همة يحدوها الامل دائما لا يمكن ان يخسر ، بل دائما ما ينقذ . فلقد حصلت له ماجى التى كفرت عن خطاياها على الرضى والسماح فى الخلود ، واقبلت الملائكة عليه تنظف روحه من كل الشوائب

التى كانت تلوتها وتحمله الى أعلى ، بينما يبعد مفيستو عنها والشياطين « تطير مع الدبر فى الجحيم » .

وللوصول الى نهاية مؤثرة لها قيمتها ، غاص جيته الى اعماق التصوف الكاثوليكى ، ثم تعمق فى الطبيعيات أيضا ، وجعل مجرى الاحداث فى العالم الاخر ، مشيرا بذلك الى الحل بتعبيرات رمزية .

وفى المشهد الختامى « الجداول والغابات والصخور والصحارى » يستحضر جيته كل المعدات الاسطورية ، ليعطى صورة عن الحياة المقدسة فى اقليم الجلال . وكان يفكر فى أن يستعمل للمناظر الخارجية نقش طيبة Thebais الذى حفر على المدفن فى بيزا ، والذى انطبعت صورته فى ذاكرته وخاصة انه رأى بعض النسخ محفورة على النحاس من ذلك النقش فى سنة ١٨١٨ .

وتسبح الملائكة مع روح فاوست الخالدة ، بينما تعلن مجموعة المنشدين النهاية الصوفية :

"Alles Vergängliche
Ist nur ein Gleichnis ;
Das Unzulängliche,
Hier wird's Ereignis ;
Das Unbeschreibliche,
Hier ist's gethan :
Das Ewig — Weibliche
Zieht uns hinan."

اى :

« كل ما يفنى ليس الا مجرد رمز ،
وأماالناقص هنا فيصبح حدثا ،
وهنا يعمل ما لا يوصف ،
فالانوثة الخالدة تجتذبنا » .

واى شيء آخر يمكن ان يسمو ويرتفع بنا ، كذلك الحب الكامن فى زوجة طاهرة مخلصة ؟ ! ولذلك فاننا نرى على وجه العموم ان ذلك النحو غير الانانى فى خدمة البشرية هو وحده الذى يستطيع ان يباركنا ويجعلنا سعداء فحسب .

وباكمال حبته هذا العمل الرئيسى ، وضع التاج على كل اشعاره — ذلك ان « فاوست » تعد اعظم ابداع فنى تأملى انتجته البشرية ، واستطاع ان يؤثر تاثيرا كبيرا فى كل النواحى . وقد أجمع الالمان تقريبا على اعتبار فاوست اعظم عمل وطنى ، يضم اهداف البشر جميعا فى حشد كل القوى من أجل السمو بالثقافة العالمية .

وبعد الانتهاء من هذا العمل الكبير ختمه جيته ، وقرر الا يفتح الا بعد وفاته فحسب . ولكنه لم يركن الى الكسل . بل حاول ان يغشى كل مكان وان يشغل نفسه فيماينفع ، تبقيت بذلك حياته عملا متصلا فى خدمة البشرية والثقافة الروحية .

دمعة على الحياة

وفى الليلة السابقة ليوم عيد ميلاده الثانى والثمانين ، ارتقى الجيكل هان Gickelhahn وتطلع الى ما حفره من ابيات على البيت الصغير Borkenhäuschen وهذه الابيات كان قد كتبها قبل نصف قرن تماما :

"Uber allen Gipfeln
Ist Ruh,
In allen Wipfeln
Spürest du
Kaum einen Hauch

Die Vögelein schweigen in Walde.
Warte nur, balde
Ruhest du Auch !"

أى :

« فوق كل القمم يكون السكون ،
فى كل القمم نادرا ما تشعر بالريح
الطيور الصغيرة ساكنة فى الغابة
انتظر فحسب ، فانك سرعان ما تستريح ايضا »

وعندما قرأ هذه الكلمات منتبها السطور ترقرقت فى عينيه دمعة وانزلقت فى خفوت كما لو كان يبكى حياته التى كان ينبغى لها أن تطول ، رغم انه كان لايزال محتفظا بقواه نسبيا . وتغلب جيته الى حد كبير على قسوة برودة الشتاء الطويل بالعمل والاندماج فى المجتمع .

وفضلا عن اوتيليى الوفيـــة المخلصة ، كان ايكرمان المخلص يسهر معـــه الليالى حتى كانت له معه مناقشـات ساحرة ، لم تكن مجرد قراءات ممتعة فحسب ، بل صارت مجالا هاما لابحاث جيته اللغوية .

وفى اليوم السادس من شـهر مارس سنة ١٨٣٢ ، جاءه ريجمونت فون ارنيم Siegmond von Arnim ابن بيتينا ، فكتب فى مذكراته الابيات التى تشير لكل طبيعته :

"Ein jeder kehre vor seiner Thür,
Und rein ist jedes Stadtquartier ;
Ein jeder übe sein' Lektion,
So wird es gut im Rat stohn."

اى :

« كل شخص يكنس امام بابه
فيصبح كل حى من المدينة نظيفا .
وكل فرد يتاقى دروســـه ،
ومن ثم يصلح كل شىء فى المجلس » .

ولم يبد على جيته حتى اليوم الحادى عشر من مارس اى اثر للتعب ، ففى ذلك اليـــوم تكلم طويلا مـــع ايكرمان فى بعض المسائل الدينية ، وعبر عن امله فى اننـا نستطيع ان نتقدم خطوة خطوة من مسيحية الكلمة الى مسيحية العمل . وكانت الآراء التى ابداها جيته تشير الى أن روحه لم تكن قد ضعفت .

واعرب جيته عن نيته ورغبته فى ان يقرأ اشياء كثيرة جدا ، وفى ان يتفحص العديد من الامور ، ويكتب آراءه بعد ذلك . ووعد بكتابة بعض السطور للصورة التى رسمها شتيلر له ، وكانت فى حوزة السيدة فون فودريبى Frau v. Vaudreuil .

برد

وفى اليوم السادس عشر من مارس فحسب سقط مريضا اثر اصابته بنوبة برد سريع ، ولم يبد طبيب العائلة الدكتور نوجل Vogel اهتماما فى بادىء الامر بهذا المرض ، ولم ير فيه ادنى خطورة . وتحسنت بالفعل صحة جيته فى اليـوم التالى مرة أخـــرى حتى انه اســـتطاع أن يملى خطابه الى هومبولت .

ولكن سرعان ما ظهرت ثانية آلام المرض على اشـــدها ، وسرت النزلة الشعبية الى الصـــدر وسببت آلاما عصبية ، وأحس بضيق شديد فى التنفس جعله يقضى معظم وقته على لكرسى فى حجرة نومه الصغيرة .

وفى ٢٢ مارس ، وقبل انتصاف النهار بدقائق ، راحت راسه تميل فى بطء الى الناحية اليسرى من مسند المقعد . ولما راوا انه لم يعد يتنفس ، استدعوا اوتيليى من الحجرات العليا بالمنزل ، فأغمضت جفونه على عينيه وهى تجهش بالبكاء .

الضجة الكبرى

وعندما ذاع النبأ ، علت فايمار ضجة كبرى ، اذ بدأ الناس يحسون بفداحة الخسارة التى أصابتهم اذ انتهت حياة جيته .

وتدفقت الجموع الى داره لترى جسمه المسجى الموضوع بصندوق الموت فى قاعة المدخل . وكان تدفق الجماهير شديدا واندفاعهم هائلا الى حد ان المسئولين اضطروا الى اقامة الحرس من حوله ليحولوا بين الناس وبينه .

وفى اليوم السادس والعشرين من شهر مارس ، احتفل بتشييع جنازة جيته الى مقبرة الامراء حيث رقد شيلر ايضا فى امن وراحة ابدية منذ سنة ١٨٢٧ . وكان دفنه هناك بناء على رغبة كارل اوجوست .

وانتهت بذلك حياة غنية بالحركة ، حياة ملؤها العمل ، حياة تميزت بالنجاح الدائم الباهر الذى أحرزه مع مر الايام ، وراح يتضاعف كلما توغل فى الحياة والعمل .

ولقد استطاع الادب الالمانى ـ بفضل جيته وحده ـ أن يصبح ندا للاداب العالمية الكبرى . وكانت الاثار التى اسفر عنها نشاطه الروحى بعد مماته تزيد كثيرا عن النجاح الذى توصل اليه فى ايام حياته . ولن يتوقف هذا الاثر الروحى قط طالما وجد شعب المانى وطالما وجدت المعارف العامة !

●

ثبت لتواريخ صدور
اهم اعمال جيتـــه

١٧٧٣ من فن المعمار الالمانى Von deutscher Baukunst
جيتس برليتشينجن
١٧٧٤ كلافيجو
فيرتر
١٧٧٦ شتيلا
١٧٨٧ افيجينيى
١٧٨٨ اجمونت
١٧٩٠ تاسو
فاوست ــ قسم منها
محاولة لتوضيح التغيرات التى تطرأ على النباتات
Versuch, die Metamorphose der Pflanzeu zu erklären
١٧٩٢ فى البصريات Beiträge zur Optik
١٧٩٤ الثعلب الطاهر
الخرافة
المراثى الرومانية (فى مجلة شيلر)
١٧٩٥ حكم البندقية
١٧٩٦/٩٥ سنى تعلم فيلهلم مايستر
١٧٩٨ هرمان ودوروتيه
١٨٠٥ فينكلمان
١٨٠٨ فاوست (الجزء الاول فى شكله الكامل)
١٨٠٩ الانساب المختارة

١٨١٠ عن نظرية الالوان (الجزء الاول والجزء الثانى) ، ثم نشر قسم آخر عن « تاريخ نظرية الالوان » ضمن مخلفاته .

١٨١١ من حياتى . الشعر والحقيقة (الجزء الاول) ، وصدر الجزء الثانى فيما بين سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٤ ، وصدر الباقى ضمن مخلفاته .

١٨١٧/١٦ الرحلة الايطالية

١٨١٧ ـ ١٨٢٤ « عن العلوم الطبيعية » عامة وتاريخ التكوين والتغيرات الطبيعية خاصة
Zur Naturwissenschaft überhaupt, besonders zur Morphologie

١٨١٩ الديوان الغربى الشرقى

١٨٢٢ الريف فى فرنسا

١٨٢٧ ـ ١٨٣١ الطبعة الاخيرة من مؤلفات جيته فى اربعين جزء

١٨٣١ اخيليس

١٨٣٣ فاوست (الجزء الثانى)

أضواء على جبيته

	صفحة
هذا الكتاب	٩
الحقبة الاولى (١٧٤٩ – ١٧٧٥)	١١
الحقبة الثانية (١٧٧٥ – ١٧٨٨)	٥٧
الحقبة الثالثة (١٧٨٨ – ١٨٢٠)	٩٩
الحقبة الرابعة (١٨٢٠ – ١٨٣٢)	١٣٥
ثبت لتواريخ صدور أهم أعمال جيته	١٧٤

To: www.al-mostafa.com